الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة
وزارة التّعليم العالي والبحث العلميّ
جامعة محمد البشير الإبراهيميّ – برج بوعريريج –

كلّية الآداب واللّغات
قسم اللّغة والأدب العربي
الشّعبة: دراسات نقدية

عنوان المذكّرة:

المنهج النقدي في كتاب "الأدب الجزائري القديم- دراسة في الجذور" لعبد الملك مرتاض

مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي.

نظام جديدLMD

التخصص: نقد حديث ومعاصر

إعداد الطالبين:
شكري مباركي
محمد فيطح

إشراف الأستاذ:
د. سمير جريدي

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	المؤسسة	الصفة
عبد الغاني ناصري	أستاذ محاضر –أ–	جامعة محمد البشير الإبراهيمي	رئيسا
سمير جريدي	أستاذ محاضر–أ–	جامعة محمد البشير الإبراهيمي	مشرفا ومقررا
سعاد الوالي	أستاذة محاضرة –أ–	جامعة محمد البشير الإبراهيمي	ممتحنا

الموسم الجامعي: 1446/1445هـ- 2025/2024م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرفي
(خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث)

أنا الممضي أدناه

السيد(ة): قيطاح محمد ..... الصفة: طالب

الحامل(ة) لبطاقة التعريف رقم: 400636363 .....

الصادرة بتاريخ: 2022/09/11 عن بلدية: برج بوعريريج ولاية برج بوعريريج .....

المسجل(ة) بكلية: الآداب واللغات قسم: اللغة والأدب العربي .....

التخصص: دراسات نقدية .....

والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث مذكرة ماستر. عنوانها:

المنهج النقدي في كتاب "أدب الرحلة الحجازي القديم" دراسة في الكيفية والأسس لعبد الملك مرتاض .....

.....

.....

.....

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

برج بوعريريج في: 2025/06/17

إمضاء المعني

سجل التصاديق
السيد: ...
بطاقة التعريف الوطنية رقم: ...
مستخرج بتاريخ: ...
المتاصر في: ...
ع/رئيس المجلس الشعبي البلدي و بتفويض منه
ضابط الحالة المدنية
حروز زهير
17 جوان 2025

أحررت هذه الوثيقة وفق ملحق القرار رقم 933 المؤرخ في 28 07 2016. الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرفي
(خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث)

أنا الممضي أدناه

السيد(ة): مباركي شكري ..... الصفة: طالب

الحامل(ة) لبطاقة التعريف رقم: 118456875

الصادرة بتاريخ: 09/09/2020 عن بلدية: برج بوعريريج ولاية برج بوعريريج

المسجل(ة) بكلية: الآداب واللغات قسم: اللغة والأدب العربي

التخصص: دراسات نقدية

والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث مذكرة ماستر. عنوانها:

المنهج النقدي في كتاب "الأدب الجزائري القديم - دراسة في الجذور" لعبد الملك مرتاض

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

برج بوعريريج في: 2023/06/17

إمضاء المعني

شوهد قصد التصديق
السيد: ...
بطاقة التعريف الوطنية رقم: ...
المستخرج بتاريخ: ...
الساكن في: ...

16 جوان 2023

رئيس المجلس الشعبي البلدي و بتفويض منه
ضابط الحالة المدنية

أنجزت هذه الوثيقة وفق للقرار رقم 933 المؤرخ في 28-07-2016، الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها

شكر وعرفان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لم يشكر الناس لم يشكر الله".

بعد حمد الله الذي منحنا القدرة والتوفيق لإتمام هذا العمل المتواضع، نتوجه بخالص الشكر والتقدير والعرفان

إلى الأستاذ الفاضل "سمير جريدي"، تقديرًا لمجهوده ومساعدته القيمة لنا في إنجاز هذا المشروع، وما قدمه من نصائح وتوجيهات كان له عظيم الأثر في إتمامه.

نسأل الله أن يجزيه خير الجزاء، وأن يجعل ما قدمه ذخرا له في ميزان حسناته.

كما لا يفوتنا أن نرفع أسمى عبارات الشكل والامتنان لكل أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها، والإداريين الكرام.

وإلى كل من ساهم في دعمنا وعوننا، قريبا كان أم بعيدا...

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يتيح له الرمال وتسجد له الظلال أشكر الله الذي بلغني هذا المآل.

إلى من لونت عمري بجمالها وحنانها وعجز اللسان عن وصف جميلها وسهرت وضحكت براحتها وشملتني بحنانها" أمي الحبيبية ".

إلى الذي أفنى حياته جدا وكدا في تربيتي وتعليمي والى من كان سندي الروحي ورافقني في مشواري" أبي الحبيب ".

إلى من دقت في كنفهم طعم السعادة " إخوتي وأخواني."

إلى كل الذين يحبهم قلبي ولم يذكرهم لساني أهدي ثمرة جهدي هذه.

شكري

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يتيح له الرمال وتسجد له الظلال أشكر الله الذي بلغني هذا المآل.

إلى من لونت عمري بجمالها وحنانها وعجز اللسان عن وصف جميلها وسهرت وضحكت براحتها وشملتني وحنانها" أمي الحبيبية ".

إلى الذي أفنى حياته جدا وكدا في تربيتي وتعليمي والى من كان سندي الروحي ورافقني في مشواري" أبي الحبيب ".

إلى من دقت في كنفهم طعم السعادة " إخوتي وأخواني."

إلى كل الذين يحبهم قلبي ولم يذكرهم لساني أهدي ثمرة جهدي هذه.

محمد

مقدّمـــة

مقدمة:

عرفت المناهج النقدية الأدبية ثورة في المفاهيم والمصطلحات، وشهدت تغيرات سريعة بسبب طبيعتها التي تخضع لحتمية التطور والتغير والتفاعل، فأمدنا الدرس النقدي الحديث بمناهج نقدية جديدة جاءت رد فعل عن المناهج السابقة، وسارت بذلك المناهج النقدية في اتجاهين: اتجاه يربط النص بسياقه الخارجي، وهو ما يعرف بالاتجاه السياقي الذي ينظر للنصوص الأدبية من الخارج ويضم هذا الاتجاه: المنهج التاريخي والنفسي والاجتماعي بينما يفرض الاتجاه الآخر نفسه، بديلا نقديا نسقيا يدرس النص انطلاقا من الداخل يسعى فيه الناقد إلى تخليص النصوص من التصورات والسياقات الخارجية التي تعاملت مع النصوص باعتبارها وثائق تاريخية، ولعل أبرزها: المنهج البنيوي، والمنهج التفكيكي، والمنهج الأسلوبي، والسيميائي.

ويعد عبد الملك مرتاض من أبرز الأعلام النقديين في الجزائر والعالم العربي، إذ قدم إسهامات قيمة في مجال الأدب والنقد متكئا على خلفية معرفية واسعة ووعي منهجي دقيق، ويعد كتابه "الأدب الجزائري القديم –دراسة في الجذور" محطة مهمة في مساره النقدي حيث يسعى من خلاله إلى استقراء التراث الأدبي الجزائري برؤية تحليلية تجمع بين الحس التاريخي والطرح المنهجي، ويستوقف القارئ في هذا العمل حضور عدد من المناهج النقدية الحديثة التي استثمرها مرتاض في قراءته للنصوص الأدبية القديمة، و الذي اخترناه موضوعا لبحثنا وفق العنوان الآتي: المنهج النقدي في كتاب الأدب الجزائري –دراسة في الجذور– لعبد الملك مرتاض.

ومن أهم الأسباب والدوافع وراء اختيارنا لهذا الموضوع منها أسباب ذاتية تمثلت في الاهتمام الشخصي بالتراث الأدبي الجزائري، حيث يمثل هذا الكتاب فرصة ماهية النقد المستخدم من قبله، إضافة إلى الإعجاب بأسلوب عبد الملك مرتاض الذي يتميز بالتعمق والدقة والمنهجية ما يثير فضول الباحث لمقاربة مشروعه النقدي والرغبة في فهم تطبيقات المناهج النقدية لما يتضمنه الكتاب من تنوع منهجي يشكل دراسة تطبيقية غنية.

أما الأسباب الموضوعية فتمثلت في قيمة الكتاب كمصدر مرجعي، حيث يعد من الدراسات التي أعادت الاعتبار للأدب الجزائري القديم إضافة إلى قلة الدراسات التطبيقية حوله على الرغم من أهميته لم يدرس بالقدر الكافي من حيث تحليل أدواته النقدية ومناهجه.

وأما إشكالية البحث فتتمثل في الأسئلة الآتية: ماهي المرتكزات النقدية التي اتكأ عليها هذا الكتاب؟ وكيف تجلت فيها؟

ولأجل الإجابة على هذه الإشكالية ارتأينا أن تكون خطة بحثنا كالآتي: مدخل كان تحت عنوان الحديث عن المناهج النقدية النسقية والسياقية وثلاثة فصول، خاتمة، وملحق.

أما الفصل الأول فتحدثنا فيه عن المنهج التاريخي، حيث قدمنا تعريفا له إضافة إلى ذكر تجلياته على مستوى كتاب عبد الملك مرتاض "الأدب الجزائري القديم"، والفصل الثاني تحت عنوان المنهج الفني وتجلياته، والفصل الثالث المنهج التكاملي مفهومه وتجلياته، إضافة إلى خاتمة أبرزنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها، و ملحق خصصناه للتعريف بالناقد عبد الملك مرتاض، وذكر أهم أعماله، إضافة إلى قائمة المصادر والمراجع.

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج الوصفي لأنه الأنسب لهذه الدراسة للكشف عن المناهج النقدية التي وظفها مرتاض وطريقة عرضه للنصوص ومقاربته لها.

ومن أهم المراجع التي اعتمدنا عليها في بحثنا نذكر بعضا منها:

- يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي.
- محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب.
- صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر.

ومن أهم الصعوبات التي اعترضت هذا البحث: تشعب المادة المدروسة، حيث يتناول مرتاض فترة زمنية طويلة ونصوصا متنوعة مما يفرض علينا الإلمام بجوانب تاريخية وأدبية متعددة، إضافة إلى قلة الدراسات السابقة التحليلية وصعوبة الوصول إلى بعض النصوص

التراثية الأصلية، إضافة إلى تنوع المناهج وتداخلها في الكتاب حيث استخدم مرتاض أكثر من منهج نقدي في تحليله، مما فرض علينا جهدا مضاعفا لفهم طريقة المزج بينها.

وفي الختام نتقدم بالشكر الجزيل لأستاذنا المشرف "سمير جريدي" الذي رافقنا في مشوار بحثنا هذا، ولم يبخل علينا بنصائحه وإرشاداته التي أزال بها كثيرا من الصعوبات والجوانب المظلمة.

مدخل

أولا: المناهج النقدية السياقية

ثانيا: المناهج النقدية النسقية

تعد المناهج النسقية والسياقية من أبرز الاتجاهات الحديثة في الدراسات الأدبية والنقدية، حيث تسعى إلى تجاوز النظرة التقليدية للنصوص بالتركيز على العلاقات الداخلية والخارجية التي تشكل المعنى، كما تمثل هذه المناهج تحولا في فهم النصوص وتحليلها وتساهم في إثراء القراءة النقدية وتعميق الوعي بطبيعة التفاعل بين اللغة والواقع.

أولا: المناهج النقدية السياقية:

تحاول المناهج السياقية فهم المعنى وكشف غوامض النص الأدبي، ودراسة كل تفصيلاته تهتم بدراسته النصوص الأدبية من خلال ربطها بالسياقات المحيطة بها. سواء كانت اجتماعية، تاريخية، نفسية، ثقافية أو سياسية. تنطلق هذه المناهج من فكرة أساسية مفادها أن النص لا ينتج في فراغ بل هو نتيجة لتفاعلات متعددة بين الكاتب وبيئته وظروف عصره "وموضع النص من السياق مثل موضع الكلمة من الجملة فلا قيمة للكلمة من دون الجملة، مثلما أنه لا يوجد وجود للجملة من دون الكلمة".[1]

هذا القول يشير إلى العلاقة التفاعلية بين الرضا والسياق كما أن الكلمة لا تفهم وحدها إلا إذا وضعت في جملة توضح معناها وتحدد دالتها فإن الرضا أيضا لا يمكن فهمه بمعزل عن السياق الذي ولد فيه مثل الظروف الاجتماعية أو الثقافية والنفسية.

والكلمة في الجملة تكتسب معناها من خلال علاقتها بالكلمات الأخرى والنص يكتسب معناه من خلال علاقته بالواقع والسياق المحيط به بالقول يدعو إلى ضرورة النظر للنص داخل سياقه ويرفض القراءات التي تفصل النص عن محيطه تماماً كما لا يجوز أن تحلل الكلمة دون جملتها لأنها قد تكون غامضة أو متعددة المعاني، فالمناهج النقدية السياقية تسعى إلى إعادة إنتاج دلالة العالم النصي مظهره حركة النشاط اللغوي المؤسس على تفاعل تحتكم إليه العناصر اللغوية في تراسلها المرجعي[2] أي أن هذه المناهج لا تكتفي بقراءة ظاهر النص بل تحاول تفكيك معناه وإعادة بنائه من خلال فهم العالم الذي يعبر عنه النص، أي المجتمع، التاريخ، الثقافة والواقع الذي تشكل فيه النص، فالنص ليس مجرد كلمات بل هو نشاط لغوي حي يتولد فيه المعنى من تفاعل الكلمات والعناصر اللغوية مع ما يشير إليه

[1] عبد الله محمد الغذامي: الخطية والتفكير من البنيوية إلى التشريحية، قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر نظرية وتطبيق المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط. 6، 2006، ص 14.

[2] عبد الله خضر حمد: مناهج النقد الأدبي السياقية والنسقية، دار الطباعة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د. ط، ص 17.

المرجع، أي الواقع أو السياق الخارجي: هذا التراسل المرجعي يعني العلاقة بين اللغة والواقع أو بين الدال والمدلول. كما تعمل المناهج السياقية على كشف الأنظمة الثقافية والاجتماعية والتاريخية المتجسدة داخل بنية النص، كما أن النص الأدبي لا يفهم فقط من خلال لغته الظاهرة، بل أيضا من خلال الوجه الآخر للغة أي ما تحمله من مرجعيات ثقافية واجتماعية غير مباشرة تتجلى في طريقة التعبير واختيار الصور والأفكار، فالمناهج النقدية السياقية تنظر إلى النص بوصفه مرآة لعالم أوسع، وتفكك اللغة للكشف عن القيم والأفكار والهويات الثقافية والاجتماعية والتاريخية التي تتخفى داخل البنية اللغوية ليصبح التحليل نوعا من إعادة بناء العالم النصي انطلاقا من تفاعله مع الواقع.

يرى أحد الدارسين أن هذه المناهج "تصدر عن نظرة مفادها أن النص الأدبي تنظيم ثقافي اجتماعي ينتمى إلى سياق تاريخي يؤثر فيه ويتأثر به، وهذا يقتضي تجاوز الشكل الأدبي وعيًا للمضمون الاجتماعي المنتج لأدبية الأدب" [1]، أي أن هذه المناهج تنطلق من فكرة أن الأدب ليس مجرد إبداع فردي أو جمالي بل هو تعبير عن بنية ثقافية واجتماعية فالنص ينظر إليه كنتاج لمنظومة من القيم والأفكار السائدة في المجتمع الذي كتب فيه، فالنص الأدبي لا ينتج في فراغ، بل هو مرتبط بالزمن والتاريخ الذي نشأ فيه ويتفاعل مع قضايا عصره فالأديب يتأثر بظروف مجتمعه، وفي المقابل يمكن أن يسهم نصه في التأثير على وعي المجتمع. هذا يعنى أن النقد السياقي لا يكتفي بتحليل الشكل بل يذهب أبعد من ذلك إلى فهم المضمون الذي يكسب النص أدبيته، فالقيمة الأدبية للنص تحدد من خلال علاقته بقضايا المجتمع والإنسان لا فقط من خلال جمالياته الشكلية.

وقد جعلت هذه المناهج "المؤلف عمدها في الرؤية والتحليل ومحورها الأساس في التفسير" [2]، أي أن المناهج السياقية (التاريخي، الاجتماعي، النفسي وغيرها) تعطي أهمية كبرى لشخصية المؤلف عند تفسير النص الأدبي، فهي ترى أن فهم النص لا يكتمل إلا عبر فهم رؤية المؤلف الفكرية والإيديولوجية وتجربته الشخصية فهو مفتاح لفهم النص ومركز

[1] عبد الله عنبر: المناهج النصية والنظريات النقدية، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، المجلد 37، العدد 1، 2010، ص 97- 98.

[2] شريف بشير أحمد، آفاق المصطلح وأعماق المفهوم علامات، فيفري، 2008، ص 21.

تدور حوله عملية التأويل بخلاف بعض المناهج الشكلية التي تتجاهل المؤلف وتفصل بينه وبين نصه.

كما يؤكد باحث آخر على أن المناهج الخارجية "هي التي تدرس النصوص الأدبية في ظروف نشأتها والسياقات الخارجية لها والتأثيرات التي تتوقع للنص أن يؤثر بها فيما يحيط به" [1]، أي المناهج الخارجية هي التي تدرس النصوص الأدبية في ظروف نشأتها والسياقات الخارجية لها التأثيرات التي يتوقع للنص أن يؤثر بها فيما يحيط به بشير إلى نوع من المناهج النقدية التي لا يكتفي بقراءة النص الأدبي من داخله (أي من حيث الشكل والأسلوب والمضمون فقط) بل تهتم أيضا بالعوامل الخارجية التي أثرت في إنتاجه أو التي يمكن أن يؤثر فيها النص، فبعض النصوص قد تحدث ثورات فكرية أو تغير مفاهيم اجتماعية (المنهج التاريخي، الاجتماعي، النفسي).

يذهب الناقد جيروم ستولنيتز إلى أن "السياق لم يمارس أبدا بذلك النطاق الواسع والنجاح الذين مورست بهما في الأعوام المئة الأخيرة، بل إن ظهور النقد السياقي ونموه قد يكون أبرز تطور في تاريخ النقد منذ القرن التاسع عشر، وتمكن نقاد السياق عن طريق استخدام أساليب ومفاهيم جديدة في التحليل بالإتيان بقدر ضخم من المعلومات" [2]، أي أن النقد السياقي غير وجه النقد الأدبي لأنه لم يعد يكتفي بالنظر إلى النص ككيان مستقل بل صار يربطه بالواقع والكاتب والمجتمع والثقافة، وهذا ما جعله من أبرز التحولات في تاريخ النقد.

وسأحاول فيما يأتي عرض أهم هذه المناهج مقتصرا على المنهج التاريخي الذي سنتطرق إليه من خلال الجزء التطبيقي والمنهج الاجتماعي والمنهج النفسي باعتبارها أهم المناهج السياقية الرائدة.

---

[1] مرشد الزبيدي: مفهوم البناء الفني للقصيدة في النقد العربي، مجلة الأقلام الأدبية العراقية، بغداد، العراق، دار الشؤون الثقافية العامة، عدد 08، 1989، ص 108.

[2] جيروم ستولينيتز: النقد الفني– دراسة جمالية فلسفية، تر: فؤاد زكري، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية مصر، ط. 1، سنة 2007، ص 868.

أ- المنهج الاجتماعي:

المنهج الاجتماعي هو أحد المناهج السياقية في النقد الأدبي، ويقوم على دراسة العلاقة بين النص الأدبي والمجتمع الذي نشأ فيه، أي أنه ينظر إلى الأدب على أنه مرآة للمجتمع يعكس قضاياه، طبقاته، صراعاته، قيمه، تحولاته، وقد نشأ هذا المنهج في أحضان المنهج التاريخي على حد تعبير صلاح فضل، وعنه تولد، واستقى مبادئه الأولى منه "خاصة عند هؤلاء المفكرين والنقاد الذين استوعبوا فكرة تاريخية الأدب وارتباطها بتطور المجتمعات المختلفة وتحولاتها طبقا لاختلاف البيئات والظروف والعصور" [1]، أي أن الأدب لا يفهم بمعزل عن تاريخه وتاريخ المجتمعات التي أنتجته أي أن المفكرين فهموا أن الأدب له تاريخ تطور ويتغير مع الزمن مثل أي ظاهرة اجتماعية أو قافية أخرى، فالأدب في القرن التاسع عشر يختلف عن أدب القرن العشرين لأن السياقات التي أنتجته مختلفة فالأدب يتأثر بالمكان (البيئة الجغرافية) والزمان والظروف، مثل الحروب أو الثورات أو التحولات الثقافية مما يجعل كل عمل أدبي نتاجا خاصا بزمانه ومكانه.

ولقد أسهمت نظرية الانعكاس التي طورتها الواقعية في تعزيز هذا التوجه الاجتماعي لدراسة الأدب، وتقوم هذه النظرية على أن الأدب ما هو إلا انعكاس للمجتمع كما كانت كل النظريات كالماركسية والواقعية الغربية "تعمل جنبا إلى جنب في تعميق الاتجاه إلى الاعتداد بالنقد التاريخي وبمنظور التلازم بين البنى الاجتماعية من ناحية والأعمال الأدبية من ناحية أخرى، وقد أسهم في ذلك ازدهار علم الاجتماع بصفة عامة واتساعه بتنوعات متعددة" [2]، وهذا يشير إلى أن الماركسية والواقعية الغربية كلاهما يركز على العلاقة بين الأدب والمجتمع. الماركسية تنظر إلى الأدب بوصفه انعكاسا للصراع الطبقي والبنية الاقتصادية للمجتمع، بينما الواقعية الغربية تهتم بتصوير الواقع الاجتماعي والسياسي كما هو بتفاصيله اليومية وتعقيداته، فالنقاد أصبحوا يولون أهمية الكبيرة لفهم النصوص الأدبية في سياقها التاريخي والاجتماعي وعدم قراءتها بمعزل عن الظروف التي نشأت فيها، فهناك علاقة تفاعلية بين الأدب والمجتمع، فالأدب يتأثر بالبنية الاجتماعية مثل (النظام الطبقي، القيم، المؤسسات) كما يمكن أن يوثر فيها أيضا.

---

[1] صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر ومصطلحاته، بيروت، لبنان، دار الشروق، 2002.

[2] المرجع نفسه، ص 35.

وبالتالي فالماركسية والواقعية الغربية لم تعملا كل على حدة بل تلاقتا في نقطة مشتركة: النظر إلى الأدب من منظور اجتماعي- تاريخي وقد عزز هذا الاتجاه نمو الدراسات الاجتماعية والثقافية.

وتجمع معظم الدراسات على أن بداية ظهور المنهج الاجتماعي ظهر مع إصدار "مدام دي ستايل" عام 1800م لكتابها "الأدب في علاقته بالأنظمة الاجتماعية"، فقد "تبنت مبدأ أن الأدب تعبير عن المجتمع" [1]، فالأدب لا يفهم بشكل صحيح إلا إذا نظر إليه كمرآة تعكس المجتمع الذي نشأ فيه بقيمه وتناقضاته وظروفه التاريخية والاجتماعية. هذا المبدأ يجعل الأدب نافذة نطل منها على واقع المجتمعات وظروفها بدل أن نراه فقط كفن خيالي وجمالي منفصل عن الحياة.

ثم ظهر الناقد هيبوليت تين الذي حمل مشعل الأدب بسياقه الاجتماعي حيث ساهمت أعماله التي جاء بها كتابه "تاريخ الأدب وتحليله" الذي أصدره عام 1863م واعتبرها الدارسون "أحد أبرز التطبيقات الممثلة للمنهج الاجتماعي في دراسة الأدب وتحليله" [2]، يشير إلى طريقة محددة في قراءة النصوص الأدبية وهي القراءة الاجتماعية، وهو منهج نقدي يربط بين الأدب والمجتمع ويروا أن العمل الأدبي لا يفهم إلا من خلال البيئية الاجتماعية التي أنتجته.

ب- المنهج النفسي:

المنهج النفسي هو منهج نقدي يفسر الأدب بالاعتماد على المفاهيم النفسية، ويرى أن النص الأدبي يُعبر عن الصراعات النفسية للكاتب أو يجسد حالات شعورية معينة، فالتراث الإنساني لم يكن ليخلو من تلك النظرات الحادقة التي تدل على عمق الخبرة بالنفس الإنسانية ومدى تأثرها بالأدب "ومن الروابط المتشابكة والمعقدة التي يمكن أن يقيمها الناقد

[1] صالح هويدي: النقد الأدبي الحديث "قضاياه ومناهجه"، منشورات جامعة السابع من أبريل، ليبيا، ط. 1، 1998، ص 95.

[2] المرجع نفسه، ص 45.

بين النصوص الأدبية من جانب وبين بواعثها وأهدافها النفسية لدى المبدع ولدى المتلقي من جانب آخر".[1]

فالنقد الأدبي لا يكتفي بوصف النص بل يغوص في علاقاته، دوافعه ووظائفه رابطا بين النصوص ككائنات لغوية وبين النفوس التي أنتجتها وتلك التي تتفاعل معها ما يمنحه بعدا معرفيا ونفسيا عميقا.

ويركز المنهج النفسي في دراسته للأعمال الأدبية والإبداعية على جوانب مختلفة أهمها: عملية الإبداع الفني حيث يعتبر العامل النفسي معوقا من معوقات العمل الأدبي، حيث يرى فرويد "أن العمل الأدبي ينظر إليه في علاقته بأنشطة بشرية مرتبطة بحياة الأفراد وهي اللعب والتخيل والحلم" [2].

يعكس المنظور التحليلي النفسي للأدب الذي أسسه سيغموند فرويد حيث يرى أن الإبداع الأدبي ليس نشاطا معزولا بل امتداد طبيعي لطاقات نفسية أساسية لدى الإنسان فالأدب ينبع من أعماق النفس ويتصل بأشكال التعبير غير الواقعية كاللعب والخيال والحلم، فالمبدع يعبر عن صراعاته ورغباته اللاواعية من خلال الأدب لكن بطريقة فنية تجعل النص قابلا للتذوق لا مجرد اعتراف شخصي.

ج- المنهج التاريخي:

المنهج التاريخي هو أحد المناهج النقدية التقليدية التي تعتمد على ربط العمل الأدبي بسياقه التاريخي، من خلال دراسة الظروف السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والدينية التي نشأ فيها النص، بهدف تفسيره وفهم أبعاده الفنية والفكرية في ضوء تلك المؤثرات الخارجية. يرى أنصار هذا المنهج أن النص الأدبي لا يمكن عزله عن بيئته، وأن الأدب يمثل مرآة صادقة تعكس حياة المجتمع في زمن معين، لذلك فإنّ تحليل النص وفق هذا المنهج يستدعي الإلمام بالأحداث التاريخية التي أثّرت في الكاتب والموضوع معًا.

---

[1] ميجان الرويلي، سعد البارغي: دليل الناقد الأدبي "إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط. 1، 2007، ص 96- 107.

[2] محمد صايل حميدان، قضايا النقد الأدبي الحديث، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، ط. 1، 1991، ص 96.

ينظر إلى المنهج التاريخي باعتباره محاولة لتفسير الأدب على ضوء ما يحيط به من وقائع، وقد ركّز عليه كثير من النقاد العرب منذ بدايات القرن العشرين، ومن بينهم طه حسين وشوقي ضيف، حيث مثّل لديهم مدخلًا لفهم التراث الأدبي في سياق تطوره الزمني والاجتماعي[1].

ثانيا: المناهج النقدية النسقية:

المناهج النسقية تشير إلى مجموعة من المناهج النقدية التي تنطلق من النظر إلى النصوص الأدبية بوصفها أنظمة (أو نسقا) مترابطة العناصر حيث تفهم دلالات النص ضمن شبكة من العلاقات الداخلية (داخل النص).

جاءت المناهج النسقية كبديل نقدي يتجاهل النقد السياقي والعوامل الخارجية المؤثرة فيه وبالأخص المنهج التاريخي والمنهج الاجتماعي والنفسي، هي مناهج تسعى إلى عزل النص الأدبي عن المؤثرات التاريخية والاجتماعية والنفسية، وتحاول قدر الإمكان دراسة العمل الأدبي دراسة نسقية داخلية بغض النظر عن علاقته بمنتجه وعن سياقه الخارجي وعن متلقيه حتى أن هذه الاتجاهات النقدية "التي كانت حديثة في زمنها كالتفسير الاجتماعي للأدب والتفسير النفسي والتاريخي والبيتي... إلخ غدت كلها اليوم مستهلكة وأصحاب الاتجاهات النقدية الجديدة يرفضون اليوم نسبة النص إلى مبدعه فلا ينسبونه إلا نفسه، لأن تحليل النص الأدبي يقتصر على تحليل النص وحده دون التعرض لعلاقته بمبدعه أو الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي أحاطت بمولده ويحصر همه في تحليل وحدات النص".[2]

إن النقاد الحداثيين لا يرون أن المؤلف هو المرجع الأساسي لفهم النص أو تأويله بل يعتقدون أن النص الأدبي يجب أن يُدرس بمعزل عن صاحبه أي أن النص الأدبي يعبر لنا مستقلاً بذاته لا يحتاج إلى مؤلفه ليفهم، ويحلل فالمعنى يوجد في النص ذاته لا خارجه. فالناقد لا يهتم بحياة المؤلف أو ظروفه أو البيئة التي كتب فيها النص بل يعلم بالبنية الداخلية للنص: اللغة، الأسلوب، التراكيب والتكرار. فالناقد فالسياق الخارجي (المؤلف،

[1] عبد الله أبو هيف: مناهج البحث في الأدب والنقد، دار الفك، سوريا، 1998، 45.

[2] محمد عزام: النص الغائب تجليات التناص في الشعر العربي دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا، 2001، ص 08.

المجتمع، التاريخ..) يعمل في التحليل لأن الهدف هو فهم كيف يشغل النص كخطاب لغوي لا كيف يعكس الواقع.

المناهج النسقية تحاول كشف أبنية النص الأدبي مظهرة الأنساق التي تحتكم إليها وطرق قيامها بوظائفها بغية إنتاج الدلالة الكلية... وهكذا تقرأ هذه المناهج النص قراءة داخلية انطلاقا من كونه تشكيلاً لغوياً بغية اكتناه الطريقة التي تنتظم فيها العناصر اللغوية وإظهاراً للنظام الذي تتألف عليه وتتفاعل في سياقه"[1]، يعني أن هذه المناهج تكشف عن القوانين أو النظام الداخلي الذي ينظم النص من حيث اللغة والأسلوب والبنية وكيف تتفاعل مكوناته لتشكيل معناه، لا تنظر إلى النص من خارجه مثل حياة المؤلف أو الظروف التاريخية بل تقرأه من داخله باعتباره بنية لغوية مستقلة.

ويشير صلاح فضل أيضاً في نفس الاتجاه حيث نجده يؤكد على أن "العنصر الجوهري في العمل الأدبي هو الذي لا يرتبط بالجانب الخارجي سواء بالمؤلف أو بسياقه النفسي ولا بالمجتمع وضروراته الخارجية ولا بالتاريخ وضرورته، وإنما يرتبط بما بدأ البنيويون يسمونه بأدبية الأدب، أي تلك العناصر التي تجعل الأدب أدبا تلك العناصر التي يمكن اعتبارها ماثلة في النص، محددة لجنسه الفني، ومكيفة لطبيعة تكوينه، وموجهة لدى كفاءته في أداء وظيفته الجمالية وعلى وجه التحديد".[2]

أ- المنهج البنيوي:

يعد المنهج البنيوي هو أول المناهج الحداثية "لم ينبثق في الفكر الأدبي النقدي وفي الدراسات الإنسانية فجأة وإنما كانت له إرهاصات عديدة نجدها عبر النصف الأول من القرن العشرين في مجموعة من الهيئات اللغوية على وجه التحديد لأن هذا الحقل كان يمثل طبيعة الفكر البنيوي"[3] ، أي أن المنهج البنيوي يعد من أول المناهج الحداثية في النقد الأدبي لم يظهر فجأة بل كان نتيجة تطورات ومقدمات فكرية سابقة. هذه الإرهاصات أو البدايات ظهرت في النصف الأول من القرن العشرين خصوصا في مجال الدراسات اللغوية لأن اللغة تمثل البنية الأساسية التي انطلق منها الفكر البنيوي.

---

[1] عبد الله خضر حمد: مناهج النقد الأدبي السياقية والنسقية، ص 113- 114.

[2] صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ميريث للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، ط. 1، 2002م، ص 84.

[3] المرجع نفسه، ص 84.

قامت البنيوية على مجهودات نقدية سابقة ساهمت لتبلورها على النحو الذي هي الآن وعليها يطلق عليها بالمنهج البنيوي "فالبنيوية هي منهج نقدي يقارب النصوص مقاربة آنية محايثة تتمثل في النص ببنية لغوية متعالقة وجودًا عاليا قائما بذاته مستقلا لغير[1]".

البنيوية تدرس النص الأدبي كما هو في لحظته الحالية دون اعتبار للمؤلف أو السياق الخارجي وترى أن معناه ينبع من علاقات عناصره اللغوية الداخلية فقط.

اختلف النقاد العرب في تحديد مفهوم البنيوية، حيث يرى ليونارد جاكبسون "أن البنيوية هي القيام بدراسة ظواهر مختلفة كالمجتمعات والعقول واللغات والأساطير بوصف كل منها نظاما تاما أوكلا مترابطا بوضعها بنيات قد تم دراستها من حيث أنساق ترابطها الداخلية لا من حيث هي مجموعات من الوحدات أو العناصر المنعزلة ولا من حيث تعاقبها التاريخي".[2]

البنيوية ترى أن الظواهر الإنسانية والمجتمعات واللغات والأساطير هي بنى متكاملة تفهم من خلال العلاقات الداخلية بين عناصرها وليس من خلال النظر إليهما كأجزاء منفصلة أو من خلال تاريخها وتطورها.

أما من الناحية الفلسفية فيعرف (أندري لالاند) البنيوية بأنها "مجموعة من العناصر تكون متضامنة فيما بينها ارتباطا وثيقا بعلاقات محددة" [3]، فالبنيوية تنظر إلى الظواهر باعتبارها أنظمة تتكون من عناصر مترابطة ومنظمة يفهم كل عنصر من خلال موقعه في البنية والعلاقات التي تربطه بالعناصر الأخرى والعلاقات ليست عشوائية بل هناك قواعد وأنساق تحكم طريقة تفاعلها، وهو ما تحاول البنيوية تحليله وفهمه.

اهتم النقاد العرب أيضا بالبنيوية وطبقوا مبادتها وأسسها في دراساتهم، حيث يعرف "فايق مصطفى" و "عبد الرضا " المنهج البنيوي على أنه "منهج فكري يقدم البحث عن

[1] يوسف وغليسي: مناهج النقد المعاصر، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007، ص 21.

[2] عز الدين المناصرة: علم الشعريات القراءة مونتاجية في أدبية الأدب، دار مجلاوي، عمان، الأردن، ط. 1، 2007، ص 475- 476.

[3] عمر مهيبل: البينوية في الفكر الفلسفي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط. 2، 1993، ص 14.

العلاقات التي تغطي العناصر المتحدة قيمة، ووصفها في مجموع منتظم مما يجعل من الممكن إدراك هذه المجموعات في أوضاعها الدالة".[1]

ومنه فإن البنيوية تقدم بالنسق، وتدرس البنية الداخلية وتنظم العلاقات بين الأجزاء الداخلية التي تشكل الحلا متكاملا فيما بينها.

ترى كذلك "نبيلة إبراهيم" أن البنيوية "تعتمد في دراسة الأدب على النظر في العمل الأدبي في حد ذاته بوصفه بناء متكامل عن أية عوامل أخرى" [2]، يعني أن المنهج البنيوي يركز على تحليل النص الأدبي بوصفه كيانا مستقلا ومغلقا على ذاته دون الرجوع إلى مؤلفه أو ظروفه التاريخية أو الاجتماعية والنفسية، فلو قرأنا قصيدة فإن البنيوي سيحلل الصور الشعرية: الإيقاع، التكرار، الرموز، والأسلوب داخل النص دون أن يهتم إذا كان الشاعر كتبها في زمن الحرب أو السلم، أو إن كان يعاني من أزمة شخصية.

كما عرفها "سمير سعيد حجازي" بأنها: "منهج فلسفي وفكري ونقدي ونظرية للمعرفة، تتميز بالحرص الشديد على التزام حدود المنطلق والعقلانية، وتأسيس هذا المنهج على فكرة جوهرية مؤاداها أن الارتباط العام لفكرة أو لعدة أفكار مرتبطة ببعضها البعض، على أساس العناصر المكونة لها، أما تلك العناصر فلا يعينها ذلك المنهج إلا من حيث ارتباطها وتأثرها ببعضها البعض في نظام منطقي مركب" [3]، و يبرز القول طبيعة البنيوية كمنهج شامل ليس فقط في دراسة الأدب بل في الفلسفة والنقد والمعرفة بشكل عام فهي تؤمن بأن المعرفة لا تبنى من الفهم الجزئي أو الفردي بل من تحليل العلاقات البنيوية التي تشكل الكل، لذلك فهي عقلانية، منهجية، كمنظم مترابطة لا كأجزاء منفصلة.

ويمكن القول إن المنهج البنيوي أحد أبرز المناهج النقدية والفكرية التي أسهمت في تجديد طريقة فهم النصوص والظواهر الثقافية، فقد ركز على دراسة البنية الداخلية للخطاب معتمدا على تحليل العلاقات بين العناصر بدل التركيز على معانيها الفردية أو السياقات الخارجية، وبفضل منهجيته الصارمة ورؤيته العقلانية شكل تحولا عميقا في مجالات الأدب

[1] فايق مصطفى وعبد الرضا، في النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات، دار الكتب للطباعة والنشر، د. ط.، بغداد، 1989،ص182.

[2] نبيلة إبراهيم: نقد الرواية وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة، مكتبة غريب، القاهرة. د. ط، ص 44.

[3] سمير حجازي: إشكالية المنهج في النقد العربي المعاصر، دار طيبة، القاهرة، 2004، ص 213.

واللسانيات. فالبنيوية تبقى محطة مركزية في تطور الفكر النقدي المعاصر ومصدرا غنيا لفهم آليات إنتاج المعنى داخل النصوص والأنظمة الثقافية.

ب- المنهج الأسلوبي:

المنهج الاسلوبي هو منهج نقدي يهتم بدراسة أسلوب الكاتب في التعبير أي الطريقة التي يستخدم بها اللغة لإيصال المعنى والتأثير في المتلقي. ظهر هذا المنهج بعد البنيوية، حيث اهتم بالدراسات الداخلية للنصوص الأدبية، فركز على النسق، وابتعد عن السياق "نقد عرف حقل الدراسات الأسلوبية تطورا كبيرا عند الغرب خصوصا في الربع الأخير من القرن الماضي، وهذا على يد مجموعة من الباحثين الذين حاولوا إرساء مجموعة من القواعد ووضعوا إستراتيجية معينة لهذا النوع من الدراسة لتحديد كيفية التعامل مع النصوص الأدبية، وهذا لا يمكن أن يفضي بأي حال من الاحوال الجهود الرائدة التي سبقت اللسانية الحديثة، وكان لها الفضل في تشكيل الصرح المعرفي والمنهجي للدرس الأسلوبي" [1]،أي أن تطور الأسلوبية لا يعني القطيعة مع الماضي بل هو استمرار وتكامل مع ما أنجزه الباحثون الأوائل.

حسب "صلاح فضل": "إن الأسلوبية انبثقت من الفكر اللغوي قبل الحركة البنيوية متأثرة بذات الاتجاهات التي أسهمت في تشكيل النبوية، إذ أن أول مؤسس للأسلوبية هو "تشارل بالي" الذي أسس الأسلوبية التعبيرية، وهو أحد تلامذة "دي سوسير" "الذين قاموا بجمع محاضراته الشهيرة التي تتعلق باللسانيات العامة، فلا ريب أن نقول بأنها أسلوبية لسانية" [2].

الأسلوبية اللسانية هي فرع من الأسلوبية تستند الى مفاهيم علم اللغة (اللسانيات) لتحليل الأسلوب في النصوص الأدبية، فمحاضرات دي سوسير رغم أنها لم تكن أسلوبية بالمعنى المباشر فقد وفرت الأسس التي سمحت بتطور الأسلوبية في اتجاه لساني.

كما اهتم النقاد الغربيون بالأسلوبية اهتماما بليغا، وسعوا إلى وضع معالمها، ومن أهم من ساهم في بناء النقد الأسلوبي شارل بالي، حيث "يعتبر شارل بالي وريث دي سوسير في

[1] بسام قطوس، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، ص 103.

[2] صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، طبعة 1، ميرين للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، 2002، ص 105.

كرسي الدراسات اللغوية، وهو مؤسس الأسلوبية التعبيرية، وقد نشر عام 1902 كتابه الأول (بحث في علم الأسلوب الفرنسي)، ثم أتبعه بدراسات أخرى أسسها علم أسلوب التعبير، وهو العلم الذي يدرس علم وقائع التعبير اللغوية من ناحية محتواها العاطفي".[1]

بالي في دراسته على أسلوب التغيير في اللغة ما ساعد على وضع الأسس العلمية لعلم جديد سمي علم الأسلوب التعبيري والذي يبحث في الوسائل اللغوية التي يستخدمها المتكلم للتعبير عن ذاته وشحن الكلام بعواطفه وانفعالاته.

كما نجد ريفاتار صاحب الأسلوبية البنيوية" يركز على مناقشته قضية الظاهرة الأدبية في النص الأدبي وينطلق في تحليله الأسلوبي من النص ذاته بوصفه صرحا مكتملا البناء، يتميز بالخصوصية والتفرد وهي الصفات التي يتميز بها الأسلوب ومن هنا يصح في رأي ريفا تير أن يقال أن الأسلوب في الواقع ليس إلى النص عينه"[2].

ريفاتير يركز على أن الظاهرة الأدبية لا يمكن فهمها إلا من داخل الرف الأدبي نفسه دون الرجوع إلى عوامل خارجية مثل المؤلف أو السياق التاريخي، فهو يرى أن النص يعد بنية مغلقة متكاملة لها خصوصيتها وتفردها وهذه الخصائص هي ما يكون الأسلوب، وبالتالي فإن تحليل الأسلوب عنده يتم من داخل النفس انطلاقا من مكوناته الداخلية وتنظيمه البنيوي وليس من خارجه. وفي هذا الصدد يقول (يوسف أبو العدوس) "إن العناصر الأساسية في عملية تحليل النص الأدبي هي النص والقارئ، أما الكاتب ومرجع النص فأموره مشية"[3]. هذا الاتجاه يحول التحليل الأدبي من محاولة كشف نوايا المؤلف أو ربط النص بالواقع إلى عملية تفاعل بين القارئ والنص فقط، حيث يصنع المعنى داخل هذا التفاعل وليس خارجه.

يعد المنهج الأسلوبي من المناهج النقدية الحديثة التي تجمع بين الجمال الفني والتحليل اللغوي إذ يركز على دراسة الأسلوب بوصفه مفتاحا لفهم خصوصية النص الأدبي وتميزه فهو لا يقتصر على الكشف عن مظاهر الجمال في اللغة بل يتعمق في تحليل البنية

[1] محمد عبد المنعم خفاجي وآخرون: الأسلوبية والبيان العربي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط. 1، 1992، ص 14.

[2] محمد مفتاح: الأسلوبية البنيوية قراءة في منهج ريفاتير، مجلة الفصول لمجموعة 4، عدد2، 1983، ص9.

[3] يوسف أبو العدوس: الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط. 1، 2002 م، ص 142.

التعبيرية ودلالتها النفسية والثقافية ومن خلال تفاعله مع علوم اللغة يمكننا هذا المنهج من قراءة النصوص قراءة دقيقه تكشف عن طاقة اللغة الإبداعية.

ج- المنهج السيميائي:

هو منهج نقدي وتحليلي يركز على دراسة العلامات والرموز والمعاني التي تنتج عنها داخل النصوص سواء أكانت لغوية كالأدب أو بصرية أو ثقافية.

لقد عرف المنهج السيميائي رواجا كبيرا في الساحة النقدية الغربية، حيث أصبحت السيميائية من أهم المصطلحات الحديثة المتداولة في النقد الغربي، وقد برزت السيميائية خلال النصف الأول من القرن العشرين إذ سميت بالعلم الشامل لأنها تدرس "كيفية اشتغال الأنساق الدلالية التي يستعملها الإنسان والتي تطبع وجوده وفكره" [1]، أي أن السيميائية تهدف إلى فهم كيف يستخدم الإنسان العلامات والرموز للتواصل والتفكير وكيف أن هذه العلامات تساهم في تشكيل رؤيته للعالم وفي تحديد هويته الثقافية والاجتماعية.

كما عرفها "شارل بيرس": "هي علم العلامات الذي يدرس مختلف خصائص العلامات التي يستعملها وينتجها العقل الإنساني، تهتم بدراسة مختلف الأنظمة العلمانية (اللغات، الإشارات، التعليمات) لأنها تمثل الإشارة الدالة مهما كان نوعها وأصلها".[2]

وعليه فالسيميائية تعنى بجميع السياقات اللغوية وتبحث عن المعاني ودلالاتها ووظائفها التي ينتجها العقل البشري.

أما رائد اللسانيات (فرديناند دي سوسير) يرى أن السيميائية هي "العلم الذي يدرس العلامات داخل الحياة الاجتماعية سواء كانت هذه العلامات لسانية أو غير لسانية".[3]

---

[1] عبد الواحد مرابط: السيمياء العامة وسيمياء الأدب، مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط. 1، 2010، ص 10.

[2] سعيد يقطين وفيصل دراج: آفاق النقد العربي المعاصر، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط. 1، 2003، ص 220.

[3] نور الهدى بوشف: مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، دار الهناء، القاهرة، مصر، د. ط.، 2008، ص 327.

فالسيميائية تهتم بكيفية إنتاج المعاني وفهمها من خلال هذه العلامات، وتعتبر أن الحياة الاجتماعية كلها مليئة بعلامات تحمل معاني نتفق عليها مثمن ثقافتنا مثلا: اللون الأحمر قد يعني الخطر أو المنع في إشارات المرور.

كما يرتبط مفهوم السيميائية عند النقاد العرب الحداثيين بالمفهوم العربي الذي ينظر بأنها: "علم أو دراسة منظمة منتظمة".[1]

فالسيميائية تحلل كيف تحمل العلامات (كالصور، الكلمات، الألوان، الحركات) دلالات تفهم ضمن سياق اجتماعي وثقافي معين، وهي تعتمد على أدوات تحليلية لرصد بنية المعنى وطريقة تركيبه.

المنهج السيميائي يعد أداة فعالة لفهم كيف تنتج المجتمعات المعنى والهوية من خلال أنظمتها الرمزية.

في الختام تتكامل المناهج السياقية و النسقية في مقاربة النصوص الأدبية، فبينما يعنى المنهج النسقي بالبنية الداخلية للنصوص ويكشف عن انتظامها الجمالي والدلالي، يسلط المنهج السياقي الضوء على الأبعاد الخارجية التي تؤطر النص وتغنيه مثل السياق التاريخي والاجتماعي، ومن ثم فإن الجمع بينهما يوفر قراءة شاملة توازن بين جماليات الشكل وعمق المضمون مما يساهم في فهم أعمق للنصوص الأدبية.

[1] عز الدين المناصرة: علم الشعريات (قراءة مونتاجية في أدبية الأدب)، دار مجلاوي، عمان، الأردن، ط. 1، 2007، ص 594.

الفصل الأول

المنهج التاريخي

أولا: مفهوم المنهج التاريخي

ثانيا: تجليات المنهج التاريخي في كتاب "الأدب الجزائري القديم" لـ "عبد الملك مرتاض":

1-عوامل نشأة الأدب الجزائري:

2- مرحلة الأدب الجزائري:

3- تفسير الظواهر الفنية:

بعدما تطرقنا في المدخل الى المناهج النقدية السياقية والنسقية كما نحاول أن نجيب على تجليات المناهج النقدية في الكتاب المدروس، إذ وجدنا عدة مناهج أولها المنهج التاريخي.

أولا: مفهوم المنهج التاريخي

المنهج التاريخي هو إحدى الطرق البحثية المستخدمة في دراسة وتحليل الأحداث والظواهر التاريخية. يركز هذا المنهج على جمع البيانات والمعلومات المتعلقة بالواقع والأحداث التي وقعت في الماضي وتحليلها بشكل موضوعي موحد لفهم تطورها وأسبابها وتأثيرها على الحاضر والمستقبل، "هو تسجيل ووصف للأحداث الماضية والوقائع وتحليلها وتفسيرها على أسس منهجية عالمية دقيقة لفهم الحاضر والمستقبل"[1]، أي أن المنهج التاريخي يبدأ بتوثيق الأحداث التي وقعت في الماضي سواء كانت اجتماعية، سياسية، اقتصادية أو ثقافية. يتطلب هذا جمع كافة المعلومات من مصادر متنوعة مثل الوثائق التاريخية والمخطوطات، وبالتالي يعتبر المنهج التاريخي أداة أساسية في هذه التطورات البشرية عبر العصور ويتيح لنا استخلاص العبر من الماضي لتوجيه قرارات الحاضر والمستقبل.

المنهج التاريخي مفيد في دراسة تطور الأدب إنه على حد تعبير محمد مندور "تمهيد لازم، ولكنه لا يجوز أن نقف عنده، و إلا كنا كمن يجمع المواد الأولية ثم لا يقيم البناء" [2]، حيث يعد محمد مندور من الداعمين لضرورة المنهج التاريخي في قراءة النصوص حيث حدد في مقدمة كتابه "النقد المنهجي عند العرب" تصوره للعملية النقدية وكذا مبررات الأخذ بالمنهج التاريخي بقوله: "أساس كل نقد هو الذوق الشخصي تدعمه ملكة تحصل في النفس بطول ممارسة الآثار الأدبية، والنقد ليس علما، ولا يمكن أن يكون علما، وإن وجب أن نأخذ فيه بروح العلم (.......)، وإذن فمن الخطأ أن ننظر إلى النقد في جملته ونصرف النظر عن مراحله التاريخية".[3]

---

[1] رحيم يونس كرو العزاوي: مقدمة على منهج البحث العلمي، ص 79.

[2] محمد مندور: في الميزان الجديد، دار النهضة، مصر الفجالة، القاهرة، ص 129.

[3] محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، دار النهضة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ص 14.

أي أن النقد الأدبي هو عملية تتطور مع مرور الوقت ويعتمد بشكل كبير على الذوق الشخصي والتفاعل مع النصوص الأدبية فلا يمكن فصل النقد عن تطوره التاريخي وفهمه في سياقه الزمني.

ثانيا- تجليات المنهج التاريخي في كتاب "الأدب الجزائري القديم" لـ "عبد الملك مرتاض":

يتجلى المنهج التاريخي في كتاب النقد الأدبي القديم عند عبد الملك مرتاض من خلال سعيه إلى ابراز العلاقة الوثيقة بين النص الادبي والبيئة التي نشأ فيها.

1-عوامل نشأة الأدب الجزائري:

استهل عبد الملك مرتاض كتابه الموسوم بـ "الأدب الجزائري القديم" بطرح بعض التساؤلات تتعلق بتحديد حدود الأدب العربي في الجزائر في سياق تداخل الثقافات والأدبيات المختلفة وبالتحديد الأدب الأمازيغي الذي يُعتبر جزءا من التراث الجزائري العريق، ومن المهم التوضيح أن الأدب الجزائري في العصور القديمة كان متنوعا، ويشمل عدة مكونات ثقافية ولغوية وهو جزء مهم من الهوية الثقافية الجزائرية خاصة في العصور الإسلامية والحديثة، يقول: "إنا حين نصرف الوهم إلى هذا الأدب الجزائري القديم مجدداً بالزمان والمكان، فهل يمكن أن نتحدث عن الأدب العربي وحده في الجزائر، وذلك على افتراض وجود أدب أمازيغي أصلي أو عريق راق ورفيع، كان مصاوتا له في القيمة الجمالية ومعاصرا له في الفترة الزمانية"[1]، أي أن الأدب العربي والأمازيغي مكونان متوازيان، يكملان بعضهما البعض كل منهما يعتبر جزء من الهوية الثقافية الجزائرية.

فالإسلام بدأ انتشاره في العديد من البلدان والمناطق ووصل إلى مناطق ناطقة بالعربية، وهو يبرز الدور التاريخي للإسلام في انتشار اللغة العربية رغم تزايد الفوارق بين الدول العربية وتنوعها في مختلف المجالات السياسية، الاجتماعية والثقافية، "ذلك بأن الإسلام حين نشر أجنحته الكريمة على الأقطار التي تتكلم اليوم العربية، وإن كانت التجارب الملهمة بدأت تثبت شيئا فشيئا، أن هذه الأقطار العربية اللسان مجتمعة لا تشكل أو لم تعد تشكل"[2]، فهذا يعبر عن واقع انتشار اللغة العربية في مناطق عدة لم تكن شعوبها في الأصل

---

[1] عبد المالك مرتاض: الأدب الجزائري القديم -دراسة في الجذور-، دار هومة، الجزائر، 2000 م، ص 7.

[2] المصدر نفسه، ص 7.

تتحدث العربية كمصر مثلا، كانت تتحدث اللغة المصرية القديمة، ثم تأثرت باللغة العربية بعد الفتح الإسلامي، والشعب السوداني يتحدث لغات نيلية صحراوية قبل انتشار العربية.

في هذا الصدد يقول عبد الملك مرتاض: "فانتشرت العربية في مصر، ولم تكن عربية اللسان أصلا وفي السودان ولم يكن عربيا وفي الصومال ولم يكن عربيا، ولا يقال إلا نحو ذلك في شأن أقطار المغرب العربي"[1]، قد تكون اللغة العربية انتشرت بفضل الفتوحات الإسلامية والتجارة والعلاقات الثقافية لكن الشعوب في تلك المناطق كانت في الأصل تتحدث لغات أخرى "فاعتدوا في معظمهم يتحدثون هذه العربية بل يؤلفون فيها كتب النحو والصرف" [2]، وقد كان للأمازيغيين دور تاريخي عظيم في نشر الدين في غربي أوروبا، وجنوبيها وفي إفريقيا خصوصا في فترات تاريخية قديمة مثل العصر الإسلامي، "ولغة هذا الدين الجديد الذي اعتنقه إخواننا الأمازيغيون الأحرار بحرارة وإيمان حتى اغتدوا يفصحون عنه وينشرونه في غربي أوروبا وجنوبيها وفي أدغال إفريقيا" [3]، كما تحدث عن فكرة الاستقلالية العرقية والتقوقع على الذات، وهي ظاهرة أصبحت أكثر وضوحاً في العقود الأخيرة من القرن العشرين حيث بدأت الأقليات في مختلف أنحاء العالم تطالب بحقوقها في الاستقلال أو التميز الثقافي، وذلك عكس ما ظهر في العصر الحديث وخصوصا أواخر القرن العشرين عندما أصبحت كل مجموعة عرقية تطمح لإنشاء دولة أو كيان خاص بها، وهو ما يوضح تطور الوعي الوطني في العصر الحديث يقول في هذا الصدد: "إن الشعوب القديمة بوجه عام لم تكن تتعلق إلى درجة الشعور بالاستقلالية العرقية والتقوقع على الذات مخافة الذوبان فإنما تلك سيرة طفرت في مطلع العقد الأخير من القرن العشرين، حيث كل أقلية في العالم كله تود لو استقلت بنفسها" [4]، أما بالنسبة لمستشار المانيا بخصوص الألمان السوفيات، فقد أشار إلى مطالب من بعض الألمان الذين كانوا يعيشون في الاتحاد السوفياتي (أوكرانيا وكازاخستان ودول أخرى كانت ضمن الاتحاد السوفياتي) بأن تكون لهم دولة أو جمهورية خاصة بهم، والحصول على حق تقرير المصير، أو الاستقلال الثقافي، "إلى حين مستشار ألمانيا طالب ما كان يسمى الاتحاد السوفياتي بأن يؤسس جمهورية

[1] عبد الملك مرتاض: الأدب الجزائري القديم– دراسة في الجذور، ص 8.

[2] المصدر نفسه، ص 8.

[3] المصدر نفسه، ص 8.

[4] المصدر نفسه، ص 8.

للألمان السوفيات"[1]، وهذه العبارة تشير إلى تحول فكري حيث أصبح من الطبيعي أن تسعى الأقليات العرقية لتأكيد استقلالها وحقوقها الثقافية في العالم المعاصر.

ثم انتقل عبد الملك مرتاض إلى إشكالية نشأة الأدب المكتوب المقروء، "أم هو هذا الأدب المكتوب المقروء الذي وصلنا والذي تعود نشأته الأولى الجديرة بالتوقف لديها إلى منتصف القرن الثاني للهجرة، أو بعد ذلك قليلا" [2]، أي أن القول يشير الى الأدب الذى بدأ يظهر في التاريخ الإسلامي مع بداية الكتابة والنقل والتحرير للأفكار والمعارف في شكل نصوص مكتوبة، وهذا ما يرتبط بنشأة الأدب العربي بشكل عام والذي بدأ يزدهر في منتصف القرن الثاني الهجري. كما أن الكاتب أقر بحقيقة مهمة عند قوله أن الأدب العربي القديم كان موجودا في الجزائر، وأن قدمه هذا ينطلق أساسا من تاريخ تأسيس الدولة الرستمية، فارتبط بالشعر والنشر "أن الأدب العربي القديم في الجزائر موجود ما في ذلك لا ريب، وأن قدمه ينطلق أساسا من تاريخ تأسيس الدولة الرستمية التي يرتبط بعض الشعر والنثر بحكامها أنفسهم"[3]، فكان للباحثين الجزائريين– خاصة الشباب– دور كبير في مدارسة التراث الوطني والمحافظة عليه.

2- مرحلة الأدب الجزائري:

كما عالج الكاتب المسألة المنهجية وذلك من خلال الصعوبات التي واجهها الأدباء في تحديد منهج حيث اعتبر أن الجهود التي بذلوها في ذلك كانت مثيلة ولم ترق إلى المستوى المطلوب "فكان نشدان التوفيق في السعي المنهجي شيء لا يحقق، وكان هذا المنهج يشبه إرضاء فقول الناس، حيث سيظل هو أيضا غاية لا تدرك أبدا"[4]. إلا أنه توصل أخيرا من خلال الدراسات إلى انتهاج منهجين منهجا تاريخيا في القسم الأول ومنهج تحليليا في القسم الأخير، يقول "كان علينا أن ننتهج منهجا تاريخيا في القسم الأول من بحثنا هذا، ومنهجا تحليليا في القسم الآخر منه".[5]

---

[1] عبد الملك مرتاض، الأدب الجزائري القديم– دراسة في الجذور، ص9.

[2] المصدر: نفسه، ص 9.

[3] المصدر: نفسه، ص 8.

[4] المصدر نفسه، ص 9.

[5] المصدر نفسه، ص 11.

كما أن الكثير من الأشعار التي أبدعها شعراء الجزائر قد ضاعت، أولم تحظ بالتوثيق والاهتمام الكافيين بسبب الفترات الصعبة التي مر بها الشعب الجزائري كالحروب الاستعمارية والاضطرابات الداخلية التي أثرت على حياة الناس وابتلعت جزءا كبيرا من تاريخهم الثقافي والفني "أن يكون للشعراء الآخرين أشعار، وضاعت في عهود المحن والفتن المتلاحقة والخطوب الدلهمية التي لم تفتأ تضرب الشعب الجزائري، بحيث لم ينعم بالاستقرار وراحة البال الا قليلا عبر تاريخه الطويل الحافل بالخطوب"[1]، حيث يعبر عن الفترات أنها كانت خطوبا دلهمية أي مليئة بالمشاق والصعوبات التي حالت دون إبراز هذه الأشعار أو بقاءها في الذاكرة الثقافية للأمة الجزائرية "وقد تتابع المؤرخون القدامى والمؤرخون الجزائريون المحدثون وخصوصا الشيخين مبارك الميلي، وعبد الرحمن الجيلالي الما كنا أو أوصانا إلى بعض ذلك في تضاعف هذا الكتاب بالإيحاءات إلى آرائهما"[2]، أي أنهما تطرقا إلى آراء معينة في سياق هذا الكتاب، وقدموا تفسيرا أو إشارات لها في المؤلفات، ويمكن القول أن الكتاب قد تم تناوله أو تحليله من قبل هذين المؤرخين، وقاما بتوضيح وجهات نظرهما حول محتواه.

يعتبر "البيان المعرب، في أخبار الأندلس والمغرب، لابن عذاري المراكشي" من أقدم الوثائق التاريخية التي تناولت الشعر الجزائري في العهد الرستمي حيث يقول عبد الملك مرتاض "وإن كان هذا المصدر من أقدم الوثائق التاريخية التي تحدثت عن الشعر الجزائري على عهد الرستميين، فإنه لم يكد يختص تيهرت وشعراؤها الا ببضع صفحات من الجزء الأول"[3]، يشير ذلك إلى أن الكتاب لم يعط اهتماما خاصا بمدينة تيهرت التي كانت مركزا ثقافيا في تلك الحقبة أو شعرائها بل اقتصر على ذكرهم في بعض صفحات فقط من الجزء الأول للكتاب، رغم أن الكتاب يعتبر مرجعا مهما في تاريخ الأندلس والمغرب، إلا أن المعلومات التي قدمها عن الشعر الجزائري في تلك الفترة كانت محدودة جدا، ولم تناول مدينة تيهرت وشعراءها بشكل مفصل وموسع.

[1] عبد الملك مرتاض: الأدب الجزائري القديم ص 17

[2] المصدر نفسه، ص 18.

[3] المصدر نفسه، ص18.

كما ذكر مرتاض حدثا تاريخيا مهما السيرة الذاتية لبكر بن حماد الذي ولد بتيهرت عام مئتين للهجرة باتفاق المؤرخين والذي لم يغادر الحياة إلا عالم سبعة عشر ومائتين للهجرة، "إذ كيف تمكن أن يلتقي به بكر بن حماد الذي ولد بتيهرت عام مائتين للهجرة باتفاق المؤرخين والذي لم يغادر مسقط رأسه إلا عام سبعة ومائتين للهجرة باتفاق المؤرخين أيضا"[1]، كما خص بعض الشعراء البغداديين الذي التقى بهم بكر بن حماد في بغداد ومنهم حبيب بن أوس، أبو تمام الطائي وعلي بن الجهم، وغيرهم، وهذه شخصيات تاريخية قديمة كان لها دور بارز في جمع بعض المصادر الأدبية إضافة إلى معجم البلدان لياقوت الحموي "لقد روئ ياقوت مقطوعتين اثنتين من الشعر الجزائري القديم على الأقل الأولى لبكر بن حماد وتقع في أربعة أبيات، وهي المقطوعة الشهيرة التي كتبها تيهرت" [2]، أي أن ياقوت الحموي قد نقل هذه الأبيات الشعرية في كتبه: مشيرا إلى أن بكر بن حماد كان قد كتبها في مدينة تيهرت التي كانت مركزا ثقافيا في تلك الحقبة.

المقاطع الشعرية التي ذكرها يا قوت تصبح بذلك جزءا من التراث الأدبي الذي يصل إلينا عن الشعر الجزائري القديم وبالأخص من فترة حكم الرستميين، أو تلك التي كانت سائدة في منطقة تيهرت في ذلك الوقت كما أضاف المصدر المعنون بـ "الأزهار الرياضية في ائمة وملوك الإباضية" لـ سليمان بن الشيخ عبد الله الباروني النفوسي، واعتبره المصدر الخطير في دراسة الأدب الجزائري القديم في عهد الرستميين كما ذكرت سابقا.

"ويقـع هـذا المصـدر الخطيـر فـي دراسـة الأدب الجزائـري القـديم علـى عهـد الرستميين". [3]

يصف عبد الملك مرتاض في الفصل الأول من كتابه بدايات الفتح الإسلامي وانتشاره بعد أن استقر الإسلام في بعض المناطق، يقول: "لم يكد الإسلام يبسط أجنحته على الجزائر ثم على الشام والعراق حتى تطلع الفاتحون العرب المسلمون إلى نشر الرسالة الإلهية شارحًا

[1] عبد الملك مرتاض– الأدب الجزائري القديم، ص، ص 18

[2] المصدر نفسه، ص 19

[3] المصدر نفسه، ص19.

تلك الأصقاع شرقا وغربا وكانت مصر أول قطر إفريقي يشمله الفتح باعتباره الموقع الجغرافي الملائم".[1]

أي أن الإسلام بدأ ينتشر في البلاد فدخل الى الجزائر من جهة الغرب ثم إلى الشام والعراق في الشرق، مما يعني أن رقعة الدولة الإسلامية بدأت تتوسع بسرعة، كما أنه تحدث عن أبرز الفتوحات الإسلامية في شمال إفريقيا وهو الفتح الذي قاده القائد المسلم عقبة بن نافع، وهو من كبار القادة المسلمين في صدر الإسلام ويترحم عليه لفضله وجهده في نشر الإسلام "ولعل أشهر فتح أن يكون ذلك الذي كان على يد عقبة بن نافع رحمه الله والذي ابتدأ من أقصى شرقي المغرب العربي، وانتهى به إلى أقصى غربيه، ولكن تلك الحملة الإسلامية انتهت باستشهاد عقبة في الجنوب الشرقي من الجزائر ".[2]

فالكاتب يشكك في أن تكون كل الفتن التي حدثت أثناء الفتح الإسلامي نابعة من رغبة حقيقية في الدفاع عن الوطن لأن هذا الوطن كان أصلا خاضعا للاستعمار الروماني، ما يوحي بأن بعض هذه الفتن ربما كانت لأسباب أخرى كالمصالح الشخصية والتحريض الخارجي لا حبا حقيقيا في التحرر أو الاستقلال، "إننا لنحسب أن إثارة تلك الفتن الهوجاء لم تكن في كل الأحوار بدافع الاستجابة لرغبة الدفاع عن الوطن الذي كان تحت حماية الرومان أو احتلالهم في فترات متعددة مع العهود السابقة للفتح الإسلامي".[3]

مما يعني أنه طوال العصور التي سبقت مجيء الإسلام كانت هذه البلاد في الغالب تحت سيطرة قوى أجنبية مثل الرومان كما تناول موقف البربر (الأمازيغ) من الفتح الإسلامي في بداياته، ويحاول تفسير سبب مقاومتهم في البداية ثم تحولهم لاحقا إلى مؤمنين وداعمين مخلصين للإسلام، يقول: "وربما قاوم البربر الأحرار كل تلك المقاومة التي أفضت إلى ارتدادهم مرارا لاعتقادهم بأن العرب كانوا كالرومان مجرد قوم محتلين، فلما تبين لهم أنهم غير ذلك اعتنقوا الإسلام إلى الأبد، ثم انبروا يفدون عنه بكل ما كانوا يملكون"، أي أن المقاومة الأولى للبربر لم تكن عنادًا أوكرها للإسلام بل كانت نابعة عن سوء فهم وخوف من

---

[1] عبد الملك مرتاض: الأدب الجزائري القديم– دراسة في الجذور، ص 22.

[2] المصدر نفسه ، ص 27

[3] المصدر نفسه، ص 28.

تكرار تجربة الاحتلال الروماني وعندما فهموا حقيقة الإسلام أصبحوا من أشد أنصاره والمدافعين عنه.

وتعتبر الدولة الرستمية أول دولة خارجية في التاريخ، يقول عبد الملك مرتاض: "وإذا كنا وصفنا الدولة الرستمية (ويبدو أنها أول دولة خارجية في التاريخ)، في مطلع هذه الفترة من البحث، بالأعجبية التركيب فلأنها ربما كانت كذلك، فابن رستم الفارسي الأصل كان من أحفاد رستم أمير الفرس وقائد جيشهم بالقادسية (12)، التي سحق فيها العرب المسلمون أهل فارس" [1]، أي أن الدولة الرستمية كانت غريبة في تركيبها لأنها تمثل تقاطعا بين الفرس والعرب فابن رستم الفارسي الأصل أقام دولة خارجية في بلاد المغرب بعد أن كان جده قائدا.

كما تحدث في كتابه عن الرحلات إلى المشرق لطلب العلم، واعتبر أن أهم رحلة خلدها التاريخ هي رحلة بكر بن حماد "ولعل أهم رحلة احتفظ بها التاريخ قام بها مثقف جزائري، تلك الماثلة في رحلة بكر بن حماد الزناتي الذي كان باكرا إلى النهوض بهذه الرحلة، وهو في سن السابعة عشر ربيعا" [2]، فالقول هذا يتحدث عن رحلة تاريخية قام بها بكر بن حماد الزناتي، ويصفها بأنها من أهم الرحلات التي قام بها مثقف جزائري وقد احتفظ بها التاريخ لما لها من قيمة علمية وثقافية.

كما أن القارء لتاريخ الإسلام في القرون الأولى يشعر بالدهشة والاستغراب من كثرة ما وقع على هذه الفترة من أحداث جسام كالاضطرابات السياسية والانتفاضات والثورات والفتن الداخلية والحروب، "إن المرء ليندهش أمام ما تذكره أسفار التاريخ عن القرون الأولى من القرن الأول إلى الثالث للهجرة وما عليها من الاضطرابات والانتفاضات والفتن والثورات والحروب والانقلابات". [3]

---

[1] عبد الملك مرتاض: الأدب الجزائري القديم– دراسة في الجذور، ص 36.

[2] المصدر نفسه، ص 38.

[3] المرجع نفسه، ص 41.

3- تفسير الظواهر الفنية:

ثم انتقل بعد ذلك عبد الملك مرتاض إلى التحدث عن مشكلة إشكالية الأجناس الأدبية، يقول: "إن مصطلح الأجناس (Genres) والذي تطور من بعد إلى نظرية الأجناس حديث النشأة، قريب العهد بالاستعمال في النقد الأدبي، وهو مصطلح تسرب إلى النقد العربي المعاصر عن طريق نظريات النقد الغربي الذي بعد أن اعترف بالأجناس الأدبية" [1]، أي أن مصطلح الأجناس الأدبية مثل الشعر، الرواية، المسرحية، المقالة لم يكن يستخدم في النقد الأدبي العربي القديم إلا أنه تطور إلى نظرية متكاملة تبحث في خصائص كل جنس أدبي وأصوله وتطوره.

وحين انتقل إلى الفصل الثالث من كتابه تحدث عن شعرية النثر في الجزائر على عهد، الرستميين فعرف النثر عند النقاد العرب القدامى، "وقد أطلق النقاد العرب القدامى مصطلح النثر على الكلام الذي يتفوه به الخطيب في المواقف المشهورة" [2]، فقد استخدم النقاد العرب القدامى الكلام الذي يلقى دون وزن وقافية مثل الخطب السياسية والدينية. كما تحدث عن تطور وازدهار الخطابة في القرون الأولى للهجرة. يقول: "لقد ازدهرت الخطابة في القرون الأولى للهجرة ازدهارا عجيبا وخصوصا أثناء القرنين الأول والثاني للهجرة بالمشرق" [3]، أي أن فن الخطابة بلغ ذروته من حيث الأهمية والتأثير في تلك الفترة الزمنية خاصة في المنطقة الشرقية من العالم الإسلامي وكانت من أهم وسائل التواصل والإقناع خاصة في ظل غياب وسائل الإعلام الحديثة.

وقد ازدهرت الخطابة حسب الكاتب بفضل عدة عوامل منها الدين والسياسة، حيث ظهرت الحاجة إلى خطباء ينشرون الإسلام ويحثون الناس على القيم الدينية ويشرحون أحكام الدين خاصة في خطب الجمعة والجهاد وغيرها، "دواعي الضرورة الدينية حيث إن الإسلام من خطب الجمعة التي تلقى في المصلين كل يوم جمعة وعبر كل مسجد جامع، فكانت تلك سبيلا إلى تطوير الخطابة التي لم تكن على عهد الجاهلية" [4]، إلا أن الخطابة

---

[1] عبد الملك مرتاض: الأدب الجزائري القديم- دراسة في الجذور، ص 56.

[2] المصدر نفسه، ص 80.

[3] المصدر نفسه، ص 83.

[4] المصدر نفسه، ص 84.

الجمعية انحرفت عن مسارها الذي وضعت لأجله، "ونلاحظ أن الخطابة الجمعية انحرفت عما وضعت له من وظائف منذ العهود الأولى التي عقبت العهد الراشدي فانزلقت من تطلعها إلى معالجة شؤون المسلمين وقضاياهم اليومية من سياسية واجتماعية واقتصادية إلى الحديث عن مواضيع الآخرة وأهوالها" [1]، ففي بداية الإسلام خصوصا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين كانت خطبة الجمعة أداة مهمة لمعالجة قضايا الناس اليومية تستخدم للتوجيه والتوعية والتحفيز، لكن بعد العهد الراشدي مع تغير طبيعة الحكم واتساع الدولة الإسلامية عن دورها فركزت بشكل كبير على مواضيع الآخرة وأهوال يوم القيامة والنار.

[1] عبد الملك مرتاض: الأدب الجزائري القديم، دراسة في الجذور، ص 89.

الفصل الثاني

المنهج الفني

أولا: مفهوم المنهج الفني:

ثانيا: تجليات المنهج الفني

1-المستوى التضميني

2-المستوى التشكيلي

3- تحليل قصيدة "مجهولة القائل"

4- تحليل قصيدة "ذكر الموت" لبكر بن حماد

تناولنا في الفصل السابق المنهج التاريخي وتجليات في الكتاب المدروس، اما في هذا الفصل فنبرز المنهج الفني وتجلياته.

أولا: مفهوم المنهج الفني:

يعد المنهج الفني من أبرز المناهج النقدية التي ظهرت في الدراسات الأدبية، ويقوم على تحليل النص الأدبي بوصفه بنية جمالية مستقلة.

إن المنهج الفني يهدف إلى الوقوف على العناصر الجمالية في النص، وتحليل العلاقات الفنية بين مكوناته من دون الوقوف عند المضمون وحده أو تفسيره بالواقع[1]، و في موضع آخر أشار صلاح فضل بأن " التحليل الفني يتطلب الوعي بجماليات التشكيل وطبيعة البنية، وانسجام الإيقاع مع اللغة والصورة ، فالنص بنية عضوية متماسكة".[2]

وهو أيضا منهج ينظر في خصائص النص وبنيته أي دراسة النص دراسة داخلية ، كما يعرفه أيضًا سيد قطب فيقول " هو أن نواجه الأثر الأدبي بالقواعد، والأصول مباشرة، تنظر في نوع هذا الأثر، ثم ننظر في قيمه الشعورية وقيمه التعبيرية، ومدى ما تنطبق على الأصول الفنية لهذا الفن من الأدب وقد نحاول تلخيص خصائص الأديب الفنية – التعبيرية والشعورية – من خلال أعماله.[3]

وفي تعريف آخر يقصد به " المنهج الفني هو تحليل النص الأدبي من خلال مكوناته الداخلية مثل اللغة والأسلوب والبناء الفني ، مع التركيز على النص ذاته باعتباره كيانا مستقلا عن المؤثرات الخارجية ".[4]

---

[1]– صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2003، ص 18.

[2] – صلاح فضل: أساليب السرد في الرواية العربية، دار المدى للثقافة والنشر، سوريا، 2003، ص 26.

[3] – سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار النشر، مصر، 1983م، ص 132.

[4] – عبد الله الغذامي: في النقد الأدبي، مركز الأدب العربي، ط 01، 2004، ص 22.

يقول صلاح فضل بأن المنهج الفني يتأسس على تفاعل الذات المبدعة مع الواقع الموضوعي، حيث لا يفهم الإبداع الأدبي إلا بوصفه تعبيراً عن تجربة ذاتية تعاد صياغتها وفق رؤية فنية تنبع من الوعي بالواقع ، لا من محض التلقائية أو التسجيل[1]، أي أن المنهج الفني يقوم على دمج البعدين الذاتي والموضوعي في العمل الأدبي ، فالإبداع هو تفاعل بين التجربة الفردية والرؤية الاجتماعية ، وذلك بأسلوب فني يجمع بين الجمال والدلالة.

ثانيا: تجليات المنهج الفني

يحظى كتاب "الأدب الجزائري القديم " للدكتور عبد الملك مرتاض بمكانة متميزة في الدراسات النقدية الجزائرية ليس فقط لثراء مادته التراثية بل أيضًا للمنهج الفني الذي اعتمده المؤلف في مقاربة النصوص ، فقد سعى مرتاض إلى تجاوز القراءة التاريخية الجافة من خلال تحليل البنية الفنية للنصوص، مركزا على الأسلوب، والصورة ، والإيقاع، مما يعكس وعياً نقديا وجماليا متقدما بالنص الأدبي القديم.

1-المستوى التضميني:

وتجلى ذلك على في الشعر الجزائري في الوصف " إن الوصف من الخصائص الجمالية التي لا مناص من كينونتها ".[2]

ومما صادفنا من هذا الوصف تلك المقطوعة التي يصف فيها بكر بن حماد مدينة تامرت المعروفة، أو التي كانت معروفة في الماضي على الأقل بشدة البرودة.[3]

ما أخشن البرد وريــعانه * وأطرف الشـمس بتـاهرت**

تبدو من الغيم إذا بــدت * كـأنما تنشـــر من تحت**

فنحن في بحر بلا لــحة * تجري من الريح على سـمت**

---

[1] – صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998، ص 101.

[2] – عبد الملك مرتاض: الأدب الجزائري القديم، دراسة في الجذور، ص 61.

[3] – المصدر نفسه، ص 61.

نفرح بالشمس إذ ما بـدت * كفرحة الــذمي بالسبت** [1]

بكر بن حماد في هذه الأبيات رسم لوحة شتوية ساحرة من تيهرت، حيث البرد سيد الموقف والشمس نادرة الظهور، وإذ ظهرت خرجت خجولة من تحت الغيم، وهي أبيات رائعة في الوصف والتصوير الفني، وتجديدا في تصوير البرد والشمس.

2-المستوى التشكيلي:

نجد تحليل عبد الملك مرتاض لإحدى مقطوعات الغزل وهي مجهولة القلائل بقوله : نعجب كيف استطاع الشعر في الجزائر، على ذلك العهد المبكر، أن يبلغ تلك الدرجة الرفيعة ، من القدرة على اللعب باللغة ، ومن البراعة في تغليب المعاني، على بساطتها، ومن النقش في النسيج الشعري إلى درجة الاحترافية:[2]

فراغ الهوى شغل ومحيا الهوى قـتل * ويوم الهوى حول وبعض الهوى كل**

وجود الهوى بخل، ورسل الهوى عدى * وقرب الهوى بعد وسبق الهوى مطل** [3]

فهذا اللعب باللغة في هذا النسج الشعري الذي نلحظه في هذين البيتين خصوصا، لم يكن منشؤه تكلفا وتمحلا: مقدار ما كان منشؤه رقة في الحضارة ، ورقيا في الذوق ، ورهافة في الشعور، ولطفا في الإحساس، وتضلعا عاليا في اللغة ، وتمكنا من المعاني، وقدرة على اقتصاص أبكار الأفكار ؛ حتى كان هذين البيتين إنما قيلا ضفتي دجلة، أو كأنهما قيلا معارضة لبعض شعراء بغداد الظرفاء أثناء القرن الثالث للهجرة.[4]

---

[1] – المصدر نفسه، ص 234.

[2] – عبد الملك مرتاض، الأدب الجزائري القديم، دراسة في الجذور، ص 74.

[3] – المصدر نفسه، ص 243.

[4] – المصدر نفسه، ص 74.

3-تحليل عبد الملك مرتاض لنص شعري جزائري قديم (مجهول القائل)

ونجد في القسم الثاني للكتاب تحليل عبد الملك مرتاض نص شعري جزائري قديم (مجهول القائل) إنا حين نعمد إلى تحليل هذه المقطوعة المجهولة القائل، والمؤلفة من سبعة أبيات تصادفنا فيها لغة شعرية رقيقة، متمكنة ، ناضجة، ناضرة ، متوهجة ، مما يجعلنا نذهب إلى أن مثل هذا النسيج الفني لكتابة الشعر يوحي باحترافية حقيقية لقرض الشعر على ذلك العهد المبكر من تاريخ الأدب الجزائري القديم.[1]

فراغ الهوى شغل، ومحي الهوى قتل * ويوم الهوى حول ، و بعض الهوى كل.**

وجود الهوى بخل، ورسل الهوى عدا * وقرب الهوى بعد، وسبق الهوى مطل.** [2]

وارتأى عبد الملك مرتاض في تحليل هذا النص إلى أربعة مستويات هي:

أولا : شعرية اللغة

ثانيا : التخاطب التشاكلي

ثالثا : التخاطب الحيزي

رابعا : التخاطب الإيقاعي

-المستوى الأول: شعرية اللغة

"وتنهض البنية "الهووية" في البيتين الأولين على ثنائية، تقابلية عجيبة يكون الهوى الفاعل هو محركها، ومحورها ، ومأتها، ومركز التفعيل فيها.[3]

[1] – المصدر نفسه ، ص 110.

[2] – ابن عذاري المراكشي: البيان، المغرب، 198 – 01– 1990.

[3] – عبد الملك مرتاض: الأدب الجزائري القديم، دراسة في الجذور، ص 115.

وحلل مرتاض بنية اللغة في النص الشعري بقوله وأما فيما يعود إلى بنية اللغة فإنها تتخذ لها في البيتين الاثنين الأولين وظيفة وصفية إخبارية، وفي البيتين الاثنين المواليين وظيفة دعائية، وفي الأبيات الثلاثة الأخيرة وظيفة إخبارية تأسيسية دعائية معا".[1]

المستوى الثاني : التخاطب التشاكلي

" إن رصد التشاكل في علاقاته النسجية ينشأ عنه ضرورة رصد التشاكل (أو التقابل أو التباين)، وإذا كان التشاكل يرصد العلاقات المتقاربة، أو المتماثلة، بين مقومات نص من النصوص، فإن التقابل (أو التباين) يرصد العلاقات المتنافرة، أو المتناقضة المتعارضة.[2]

وهو ثلاثة أنواع:

- التشاكل الإفرادي
- التشاكل التركيبي
- العلاقة السيميائية الإشكالية.

المستوى الثالث: التخاطب الحيزي

"مكان في هذا النص شأن مكين حيث إن كل شيء يقوم من حول هذا المكان – وهو تيهرت– والحنين العارم إليه، أو الدعاء الطيب له أو التأسي العميق عليه، والحزن القاتم على فقدانه ".[3]

ذلك بأن ما يبدو حيزا في التصور التقليدي للأشياء ، ليس إلا حميمي الحيزية في التصور السيميائي لها، فالفراغ في حقيقته لا ينبغي له أن يتم خارج الحيز، مثله مثل المحيا، والفل ، والرسل، والعدو، والقرب، والبعد ، فهذه كلها مقومات لا تضطرب إلا في المكان

---

[1] – المصدر نفسه، ص 119.

[2] – عبد الملك مرتاض: الأدب الجزائري القديم، دراسة في الجذور، ص 120.

[3] – المصدر نفسه ، ص 124.

الذي لولاه لما كانت، كما أن مفهوم الزمن نفسه (يوم ...) لا ينبغي له أن يركض إلا في حيز هو أيضًا، فالحيز إذن هو أساس الموقف في هذا النص.[1]

المستوى الرابع: التخاطب الإيقاعي

"ينتمي إيقاع هذا النص من الوجهة العروضية، إلى البحر الطويل".[2]

أ- الإيقاع الداخلي

لنقرر سلفا، ودون أي انتظار، أن الإيقاع الداخلي في هذا النص غني جدا ، ولا سيما في البيتين الأولين منه حيث نلقى مقوم "الهوى" ثماني مرات في بيتين اثنين فقط مما يولج هذه السيرة في باب اللعب بالإيقاع، والتحكم في عناصره على نحو كامل ، كما إننا نجد المقوم المنتهي باللام المضمومة غير الممدودة يتكرر خمس مرات.

- شغل، قتل؛ حول؛ بغل؛ وصل.

ويلاحظ أن كل لام مضمومة مسبوقة بسكون وما قبلها إما مفتوح.

- قتل؛ حَوْل، وصل وإما مضموم:
- شغل، بخل

مما يضاعف من جمال هذا الإيقاع الشعري فإذا صوته مؤتلف وإنا وقعه في المسامع منسجم".[3]

ب- الإيقاع الخارجي:

"لا يكون الإيقاع الخارجي من منظورنا، إلا مجرد تكملة للإيقاع الداخلي الذي كثيرا ما يكون أغنى منه بالأنغام الصوتية اللغوية ؛ إذ لن يجاوز الشأن، بالقياس إلى الإيقاع الخارجي البحث في " أضرب " الأبيات وكيف انتهت ، وفي الإيقاع العام وكيف تركب".[1]

[1] – المصدر نفسه، ص 124.

[2] – المصدر نفسه ، ص 126.

[3] عبد الملك مرتاض: الأدب الجزائري القديم، دراسة في الجذور، ص 128.

"هذا و إن "أضرب" هذه الأبيات السبعة تتخذ لها ثلاث تشكيلات هي :

1- تشكيلة: كل (تكلل) = تكل

2- تشكيلة، تنهل = تنسل

3- تشكيلة: مطل : مَعلُ : شَمْل [2]

" وكأن هذا الإيقاع الخارجي لخفته (خلوه من حروف المد) إنما كانت الغاية منه إظهارها في النفس من لوعة وحسرة تتجسد في سردية الحدث سرعة وقوعه – فكأنه إذن حادث مجهض وتحقيق إدباره إلى الأبد ، ذلك بأن الحدث يستم هنا بالماضوية، أي يوصف ماض عبر، و عصر أدبر فكان أولى لهذه "الأضرب " أن تسرد في صيغ صوتية غير ممدودة لتدل على الحال المتسمة بالتلهف والحنين العامر؛ أي لكيما تتواكب مع الجو التاريخي والعاطفي للحدث الذي أدبر، والذي لم يأت هذا النص إلا من أجل نبشه ببكائه ، وإظهار التأسي عليه، وإبداء الحنين العارم إليه بإثارته.[3]

تحليل قصيدة "ذكر الموت " لـــ "بكر بن حماد":

" وإن أبيات النص الشعري الذي نحلله ، هنا ، لا يجاوز حجمه عشرة أبيات ومع ذلك فإن هذا النص يأتي في المرتبة الثالثة من حيث الطول وأطول قصيدة نعرفها لبكر بن حماد إلى يومنا هذا، هي تلك التي قالها يعارض بها عمران بن حطان ويهجوه".[4]

وقام عبد الملك مرتاض بتحليل هذا النص الجزائري القديم من ثلاث مستويات سيميائية هي:

1- المستوى التشاكلي

2- المستوى الحيزي

---

[1] – المصدر نفسه، ص 132.

[2] -– المصدر نفسه، ص 133.

[3] – عبد الملك مرتاض: الأدب الجزائري القديم، دراسة في الجذور، ص 133.

[4] – المصدر نفسه، ص 142.

3- المستوى الزمني

1- المستوى التشاكلي :

- **التشاكل العام:**

فطال مروقها – لا يزال يسوقها:

يأتي التشاكل إلى هذين الزوجين النسيجيين من طائفة من المناجي :

1- من حيث الإيقاع: كما سنرى، إنهما يقومان معا على خصائص صوتية متقاربة ومتشابهة.

مروقها = يسوقها

فهذا التشاكل الأول، إذن صوتي إيقاعي جميعا.[1]

2- من حيث إن مقوم " فطال" يتشاكل تشاكل زمنيا مع "لا يزال"، أو رأيت أن تركيبة طال مروقها معادل زمنياً لتركيبة : لا يزال يسوقها ، فالطول دلالة على امتداد الزمن وإلحاح هذا الامتداد.[2]

3- هنالك تشاكل آخر نستخلصه من القراءة الانتشارية / الانحصارية إذ الزوجان : طال / مروقها بحكم امتداديهما الزمنية لا يعنيان إلا صريح الانتشار".[3]

2- المستوى الحيزي:

تمثل ثلاثة مظاهر من الحيز في هذه الوحدة النسيجية:

- ما يكمن في مقوم "حاجات"
- وما يتجلى في مقوم " تروج "

---

[1] – عبد الملك مرتاض: الأدب الجزائري القديم، دراسة في الجذور، ص 143.

[2] – المصدر نفسه، ص 134-144.

[3] – المصدر نفسه، ص 144.

– وما يمثل في مقوم " تعتدي "

1- الحاجات :

إن الحاجات في أي وضع تصورتها لا تستطيع تجريدها من مفهوم الحيز الذي لا يفارقها ويلازمها، غير أنه حيز مبهم، غامض من حيث مساحته إن كان حقا مساحة.[1]

2- تروح وتغتدي :

إنما نراهما مشتركين في الحركية الحيزية التي إذا وقعت في المساء فإنها واقعة أيضا في الصباح.[2]

2- التقابل:

جنح ليل – ضوء نهار:

إن الأسلوبية التقليدية ، أو الرؤية البلاغية إلى نسج الكلام ، علمتنا كيف نقرأ هذين الزوجين، فعهدنا بالبلاغة العربية أنها تطلق عليهما مصطلح المقابلة، ولا يكاد التقابل السيميائي يخرج عن هذا المتمثل التقليدي في هذا النموذج بالذات، إذ يقوم على مبدأ التأليف بين أطراف متنافرة، وهو الأمر الذي يجعلنا نتقابل بين:

- جنح # ضوء
- ليل # نهار [3]

3-المستوى الزمني:

– وقد مرقت نفسي فطال مروقها:

---

[1] – المصدر نفسه ، ص 177.

[2] – المصدر نفسه، ص 178.

[3] – عبد الملك مرتاض: الأدب الجزائري القديم، دراسة في الجذور ، ص 156.

يمثل الزمن الأدبي، في هذه الوحدة ، في شخشين زمنيتين اثنتين : إحداهما مجرد حركة ، وتمثل في : مرقت نفسي : وإحداهما الأخرى حركة وثبات وتمثل في : فطال مروقها.[1]

1- مرقت نفسي: إن حركة الروق لا يجوز لها أن تفلت من قبضة الزمن، ويعني ذلك أن المروق ربما كان وقع في عهد الفترة، أو في نزوة عاطفية تغلب فيها هوى النفس على رشاد العقل ، فالمروق مثل الخروج والدخول ، حركة حيزية في ظاهرها ولكنها مشبعة بالزمن الخاطف في مظهرها الآخر غير المرئي.[2]

2- فطال مروقها: نلاحظ أن الزمن المائل في هذين المقومين مرتبط بالأول مكمل له ومفسر، والرابط بين هذين الصنوين الاثنين هو هذه الفاء التي تتصدر طال، فكأن معنى هذه الفاء تفسيري، والزمن هنا أطول من الأول بحكم الإطلاق نفسه، وطبيعة الشبح ذاته.[3]

ونستخلص في الأخير أن المنهج الفني في كتاب "الأدب الجزائري القديم" تجلى في استخدام عبد الملك مرتاض لرؤية نقدية مركبة تعلي من القيمة الجمالية للنصوص القديمة، وتربطها بسياقها التاريخي و الاجتماعي مع المحافظة على خطاب نقدي غني اللغة والصور، ما يجعل من الكتاب مرجعا فنيا وتاريخيا في آن واحد لتتبع جذور الأدب الجزائري وتطوره.

[1] – المصدر نفسه، ص 183.

[2] – المصدر نفسه، ص 184.

[3] – عبد الملك مرتاض: الأدب الجزائري القديم، دراسة في الجذور، ص 184.

الفصل الثالث

المنهج التكاملي

أولا: تعريف المنهج التكاملي

ثانيا: تجليات المنهج التكاملي

أولا: تعريف المنهج التكاملي

شهد النقد الأدبي تطورًا كبيرًا عبر العصور، حيث انتقل من مجرد تلخيص المحتوى وإصدار الأحكام الانطباعية إلى اعتماد مناهج علمية دقيقة تستند إلى تحليل النصوص من زوايا متعددة هذه المناهج بتعدد المرجعيات الفكرية والفلسفية ، فظهر المنهج التاريخي، والاجتماعي، والفني ، واللساني ، والتفكيكي وغيرها.

"المنهج التكاملي هو المنهج الذي لا يلتزم إطاراً واحدا في تحليل النصوص الأدبية، بل يفتح على مختلف المناهج الحديثة، ويتعامل معها بمرونة ، تبعا لما تقتضيه طبيعة النص".[1]

كما يؤكد صلاح فضل أن " الناقد المتمكن هو الذي يختار من كل منهج ما يخدم النص، ويسهم في الكشف عن بنية ودلالته ، دون أن يكون أسريًا لمنهج واحد".[2]

"المنهج التكاملي هو الجمع بين مختلف المقاربات والمناهج القرائية، مثل اللسانية، السيميائية، التداولية، التاريخية، دون إخلال بوحدة النص، أو تفكيكه إلى عناصر معزولة".[3]

المنهج التكاملي هو أسلوب في تحليل الخطاب الأدبي يقوم على تفعيل مجموعة من الأدوات المنهجية المنبثقة من مناهج متعددة، يتم اختيارها وتكييفها حسب خصوصية النص ومجاله التداولي[4]، ويضيف بورايو "لا يمكن للمنهج الواحد أن يفي بالغرض في دراسة الأدب الشعبي أو القديم، لأن هذه النصوص تجمع بين الجمالي والتاريخي والأنثروبولوجي وتستلزم مقاربة تكاملية".[5]

---

[1] – صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط 01، 1978، ص 25.

[2] – المصدر السابق، ص 27.

[3] – محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1985، ص 12.

[4] – عبد الحميد بورايو: السرديات الشعبية، مقاربات منهجية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 01، 2004، ص 19.

[5] – المصدر السابق، ص 21.

يسعى المنهج التكاملي إلى تقديم قراءة متعددة الأبعاد تتجاوز النظرة الأحادية، ويعد من أكثر المناهج مرونة وثراء، لأنه يمنح الناقد حرية الاختيار بين الأدوات المنهجية ما يناسب طبيعة كل نص.

كما يضيف محمد مفتاح في موضع آخر بتعريفه للمنهج "لا سبيل إلى فهم الخطاب الأدبي إلا بالاستعانة بمنهج تكاملي يأخذ بعين الاعتبار المعطيات النصية والسياقية الجمالية والتداولية".[1]

في هذه التعريفات يؤكد محمد مفتاح أن النص الأدبي خطاب مركب، لا يمكن الإحاطة به من زاوية واحدة لذا يدعو إلى منهج منفتح وتكاملي يدمج بين التحليل الداخلي للنص والعوامل الخارجية.

ثانيا: تجليات المنهج التكاملي:

في كتابه "الأدب الجزائري القديم –دراسة في الجذور" يعمد الدكتور عبد المالك مرتاض إلى توظيف منهج تكاملي يتسم بالشمول والانفتاح، ويعكس وعيا نقديا متقدما في قراءة النصوص الأدبية في سياقاتها المختلفة، فهذا المنهج لا يقتصر على زاوية نظر واحدة ، بل يجمع بين عدد من المناهج النقدية في إطار من التناغم والتحاور بما يسمح بفهم الأدب في كليته وتعدد تجلياته.

فقد انطلق مرتاض من المنهج التاريخي يؤسس خلفية زمنية وثقافية للنصوص الأدبية الجزائرية القديمة مسلطا الضوء على المراحل السياسية والحضارية التي مرت بها الجزائر من الفتح الإسلامي إلى العهد العثماني، دون أن تكون هذه المقاربة التاريخية غاية في ذاتها، بل كانت أرضية لفهم خصوصيات الإبداع الأدبي في تلك الحقبة.

---

[1] – محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، ص 14.

وفي الآن نفسه، لجأ إلى التحليل الفني للنصوص من خلال دراسة الصور البلاغية، والإيقاع الشعري والأسلوب اللغوي، مما يظهر اهتمامه بالجانب الجمالي في النص ويبرز الحس الإبداعي الذي كان حاضرا رغم ظروف القهر والتبعية.

كما دمج مرتاض البعة السوسيولوجي، حيث تناول النصوص بوصفها انعكاسا لمجتمعها ، وكشف عن علاقتها بالبنية الثقافية والدينية والسياسية السائدة، مسجلاً بذلك وعيا بضرورة ربط الأدب ببيئته الاجتماعية حتى تكتمل دلالته، وتظهر في منهجه أيضًا لمحات من المنهج المقارن، حيث يعقد موازنات بين الأدب الجزائري ونظيره في المشرق أو المغرب العربي بهدف إبراز الخصوصية المحلية ضمن وحدة الانتماء الحضاري، كما يستعين المؤلف بعلوم مساعدة كالتاريخ، والبلاغة والفقه، مما يثري قراءته للنصوص ويوسع من أفقها الدلالي.

وبهذا التداخل المنهجي الخلاق، استطاع عبد المالك مرتاض أن يقدم رؤية نقدية متكاملة تنصف الأدب الجزائري القديم، وتستكشف عمقه الحضاري، دون أن تسقط في النزعة التجزيئية أو الأحكام المسبقة، مما يجعل من منهجه نموذجا للمقاربة التكاملية في قراءة الأدب.

المنهج التكاملي هنا عند عبد الملك مرتاض هو الجمع بين المنهج التاريخي و الفني وقد كان الجمع موفقا إذ وازن فيه موازنة محمودة بينهما على عكس دراسات أخرى كان المنهج التاريخي طاغيا على المنهج الفني.

خاتمة

الخاتمة:

بعد الانتهاء من هذا البحث الموسوم بـ" :المنهج النقدي في كتاب الأدب الجزائري القديم – دراسة في الجذور، لعبد المالك مرتاض"، والذي تم من خلاله تتبع الأسس النظرية والتطبيقية للمناهج النقدية الموظفة في هذا الكتاب المرجعي، يمكن القول إنّ هذه الدراسة قد حققت جزءًا مهمًا من أهدافها، والمتمثلة في محاولة الوقوف على طبيعة المنهج النقدي الذي اعتمده عبد المالك مرتاض في قراءته للنصوص الأدبية الجزائرية القديمة، وذلك من خلال ثلاثة مناهج رئيسية :المنهج التاريخي، المنهج الفني، والمنهج التكاملي.

لقد أظهرت النتائج أن عبد المالك مرتاض لا يكتفي بالتأريخ للأدب الجزائري، بل يتعامل معه كمنتج ثقافي وفني يحمل دلالات أعمق من مجرد التسلسل الزمني، وهذا ما برز من خلال اعتماده على المنهج التاريخي في سياق ربط النصوص بمرجعياتها الزمنية والسياسية والاجتماعية .كما تجلى في المقابل اهتمامه بالبنية الجمالية للنصوص من خلال المنهج الفني الذي قسمه إلى مستويات تحليلية دقيقة تمثلت في :شعرية اللغة، التخاطب التشاكلي، التخاطب الحيزي، والتخاطب الإيقاعي، مما يدل على وعي نقدي حداثي في تفكيك البنى النصية

أما المنهج التكاملي، فقد كان بمثابة الإطار الجامع، حيث دمج مرتاض بين السياق والمحتوى، وبين الجمالية والمرجعية، مما أضفى على تحليله للنصوص طابعًا شموليًا ومنسجمًا مع التوجهات النقدية الحديثة التي تدعو إلى عدم الفصل بين مكوّنات النص وخلفياته. من بين أبرز النتائج التي توصلنا إليها أيضًا أن مرتاض يمثل حالة فريدة في النقد الجزائري، نظرًا لقدراته على التعامل مع النصوص التراثية بعين الناقد الحداثي، واستثماره للمناهج الغربية دون أن ينفصل عن البيئة الثقافية التي ينتمي إليها .كما أن كتابه يعتبر محاولة رائدة لإعادة الاعتبار للأدب الجزائري القديم الذي طالما همّشته الدراسات النقدية.

الملحق

ملحق :السيرة الذاتية العلمية لعبد الملك مرتاض:

أ- حياته وتعلمه:

ولد عبد الملك مرتاض في العاشر من يناير سنة خمسين وتسعمائة وألف ببلدة مسيردة تلمسان، الجزائر، وبعد حفظه القرآن الكريم في كتاب والده بقرية الحمام التي ولد بها هاجر سنة1953 م إلى فرنسا من أجل العمل اشتغل في أفران معمل أسيوي حتى يستطيع متابعة دراسته في أحد المعاهد فيما بعد.

1954م عاد إلى أرض الوطن حيث التحق بمعهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة، ولكن لم يمكنه من إنهاء خمسة أشهر إذ أغلقت السلطات الاستعمارية هذا المعهد لطلابه ومدرسته، والقائمين عليه مما أفضى الى تعليق الدراسة وتشتت طلابه.

وفي1955 م سافر إلى فاس المغرب لمتابعة دراسة جامعة القرويين ولكنه لم يتابع بها إلا بضعة أسابيع اضطر على إثرها دخول المستشفى مرض وبيل أم به كاد يودي بحياته لولا لطف الله به.

1956م عين مدرسا للغة العربية في مدرسة ابتدائية عبدية بالمغرب بعد النجاح في مسابقة أجريت من أجل اختيار مجموعة من المدرسين.

1957م حصل على شهادة البكالوريا) القسم الثاني من الشهادة الثانوية (من المعهد الديني عبدية تطوان بالمغرب، تقدم إليها مترشحا حرًا، وفي نفس السنة، التحق بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الرباط كما سجل في الوقت نفسه، في كلية الحقوق، والعلوم السياسية، معهد العلوم الاجتماعية في الجامعة نفسها.

1958م التحق بالمدرسة العليا للأساتذة بباريس.

1970م في السابع مارس أحرز على درجة الدكتوراه طور الثابت في الآداب من جامعة الجزائر بالبحث عنوانه فن المقامات في الأدب العربي بإشراف الدكتور حسان

النصي، وشارك في مناقشة هذه الرسالة الدكتور شكري فيصل والدكتور مكي السباعي، وهي أول دكتوراه في الآداب تمنحها جامعة الجزائر في عهد الاستقلال.

ب-أهم المناصب التي تقلدها:

عين مستشارًا تربويًا في عام1963 م، للمدارس الأدبية بمدينة وهران ولكنه لم يلبث أن استقال والتحق بالتعليم الثانوي حيث ظل يعمل مدرسا للغة العربية إلى غاية سبتمبر 1970م.

15سبتمبر1970 م عين مدرسا للأدب العربي في جامعة وهران.

1971م عين رئيسا لشعبة اللغة العربية وأكمل لدى استحداثها لأول مرة بجامعة وهران.

1975 –م انتخب رئيسا للفرع اتحاد الكتاب الجزائريين بولايات الغرب الجزائري لدى استحداث هذه الهيئة لأول مرة.

1980 –م عين وكيلا لجامعة وهران.

1981 –م انتخب عضوا في الهيئة المديرية لاتحاد الكتاب الجزائريين.

1983 –م نال درجة الدكتوراه الدولية من جامعة السوربون بباريس في الآداب.

1984 –م انتخب أمينا) بقطر (مكلف بشؤون الجزائريين.

1986 –م في أول مرة أستاذ كرسي في جامعة وهران.

1988 –م عين عضوا في الهيئة الاستشارية للمصلحة، كتابات معاصرة بيروت[1].

ج-مؤلفاته وآثاره

1- دراسات

1. القصة في الأدب العربي القديم 1968
2. نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (من 1925- 1954) 1971
3. فن المقامات في الأدب العربي 1980

[1] علي بوخاتم: الدرس السيميائي المغاربي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2005، ص245.

4. الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثُّر 1981
5. العامية الجزائرية وصِلتها بالفصحى 1981
6. الألغاز الشعبية الجزائرية 1982
7. الأمثال الشعبية الجزائرية 1982
8. الجدل الثقافي بين المغرب والمشرق 1982
9. النص الأدبي من أين وإلى أين؟ 1983
10. فنون النثر الأدبي في الجزائر (من 1931- 1954) 1983
11. معجم موسوعي لمصطلحات الثورة الجزائرية1983
12. الشيخ البشير الإبراهيمي1984
13. بنية الخطاب الشعري، دراسة تشريحية لقصيدة (أشجان يمانية) لعبد العزيز المقالح1986
14. في الأمثال الزراعية الجزائرية 1987
15. عناصر التراث الشعبي في رواية (اللاز) 1987
16. الميثولوجيا عند العرب 1989
17. ألف ليلة وليلة، دراسة تفكيكية لحكاية حَمَّال بغداد 1989
18. القصة الجزائرية المعاصرة 1990
19. ألف ياء، تحليل سيمائي لقصيدة (أين ليلاي) لمحمد العيد1992
20. شعرية القصيدة، قصيدة القراءة، تحليل مركَّب لقصيدة (أشجان يمانية) 1994
21. تحليل الخطاب السردي، تحليل سيمائي مركَّب لرواية (زُقاق المدقّ) لنجيب محفوظ 1995
22. جمالية الحيِّز في مقامات السيوطي، اتحاد الكتَّاب العرب دمشق، 1996
23. قراءة النص بين محدودية الاستعمال ولا نهائية التأويل، تحليل لقصيدة (قمر شيراز) لعبد الوهَّاب البيَّاتي1997
24. في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد 1998

25. الكتابة من موقع العَدَم 1999
26. السبع المعلَّقات، اتحاد الكتَّاب والأدباء العرب دمشق، 1999
27. النص والنص الغائب في شعر سعاد الصباح1999
28. الأدب الجزائري القديم، دراسة في الجذور 2000
29. نظام الخطاب القرآني، تحليل سيمائي مركَّب لسورة الرحمن2001
30. التحليل السِّيمائي للخطاب الشعري، تحليل سيمائي لقصيدة (شناشيل ابنة الجلبي) 2001
31. أدب المقاومة الوطنية في الجزائر (من 1830- 1962) جزآن؛ الأول 2002، الثاني 2004
32. في نظرية النقد 2002
33. نظرية القراءة، تأسيسات للنظرية العامة للقراءة الأدبية 2003
34. الإسلام والقضايا المعاصرة 2003
35. ملامح الأدب العربي المعاصر في السعودية، متابعات نقدية 2004
36. طلائع النور، لوحات من السيرة النبوية العطرة 2007
37. معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين 2007
38. رحلة نحو المستحيل، تحليل قصيدة (رحلة المراحل) لسعد الحميدين2007
39. قضايا الشعريات 2007
40. نظرية النص الأدبي 2010
41. نظرية البلاغة 2010
42. مئة قضية وقضية 2011
43. نظرية اللغة العربية 2012
44. شعرية القص وسيمائية النص، تحليل مِجهَري لمجموعة تفاحة الدخول إلى الجنة
45. الشعر الأول، معالجة تاريخية رصدًا وأنتروبولوجية مقاربة وسيمائية تحليلًا لمطالع المعلقات.2015

46. بنية اللغة في الشعر النبطي، تحليل لنص قصيدة (سلام يا شيخ) للشاعر الشيخ محمد بن زايد آل نهيان2016

47. التحليل الجديد للشعر، معالجة تحليلية لخمس القصائد التي قُدِّمت في نهائي الموسم السادس لأمير الشعراء2017

48. أَمارات على عظمة الإمارات، مجموعة دراسات في الأدب والثقافة والمجتمع عن دولة الإمارات[2018

49. معجم موسوعي للمصطلحات الأنتربولوجية، متابعة لمصطلحات العَلاقات والعادات والتقاليد في المجتمع العربي منذ القدم 2018[

50. مفاتِحُ لغرفة واحدة، معالجة مجهرية تداولية لرواية) غرفة واحدة لا تكفي (لسلطان العميمي2019

51. المقامة في الأدب العربي، مقاربة تاريخية وفنية للجنس السردي العربي الأول 2019

52. عجائبيات العرب، متابعة لطائفة من أساطير العرب وتحليلها 2020

2-إبداعات

1. نساء للبيع (مسرحية) 1968
2. زواج بلا طلاق (مسرحية)
3. هشيم الزمن (مجموعة قصصية) المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1988
4. رباعية الدم والنار (4 روايات): نار ونور 1975، دماء ودموع 1978، صوت الكهف 1986، حيزية 1988 (ثم صدرت معًا عن دار البصائر الجزائر)، 2011
5. الخنازير (رواية) 1988
6. ثنائية الجحيم (روايتان): مرايا متشظية 2000، وادي الظلام 2005
7. ثلاثية الجزائر، (3 روايات تاريخية): الملحمة 2010، الطوفان 2010، الخلاص 2011

8. الحَفر في تجاعيد الذاكرة (سيرة ذاتية)، دار هومة الجزائر 2003، دار الغرب وهران 2004.

3-جوائز

- نال شهادة تقدير من رئيس الجمهورية الجزائرية عام 1987م.
- نال جائزة سلطان العويس الثقافية في الدورة السابعة عشرة 2020 – 2021م.

د-وفاته ونعيه

توفي عبد الملك مرتاض بعد معاناة المرض في الجزائر، يوم الجمعة 19 ربيع الآخر 1445هـ الموافق 3 نوفمبر (تشرين الثاني) 2023.

وعزَّى رئيسُ الجمهورية الجزائرية عبد المجيد تبون، فيه قائلًا» :انتقل إلى جوار ربّه في هذه الجمعة المباركة الدكتور عبد المالك مرتاض أحدُ أعمدة اللغة العربية في الجزائر ومربي الأجيال. رحل الرجلُ ويبقى الأثر. تعازيَّ العميقة لأسرة الفقيد، وألهمهم جميلَ الصبر والسُّلوان. إنا لله وإنا إليه راجعون.

وكانت نعَتْه الدكتورة صورية مولوجي وزيرة الثقافة والفنون الجزائرية، وقالت :"بعين دامعة، وقلب خاشع، ونفس مسلمة راضية، تلقَّينا النبأ المفجع بوفاة المشمول بعفو الله تعالى ورضاه، الأديب الكبير عبد المالك مرتاض، تقبله الله في عداد الصالحين من عباده. الجزائر بل العالم العربي كله خسر برحيل الأستاذ مرتاض قامةً شامخة في الأدب العربي، فهو الأديبُ الروائي والمفكر والناقد والمؤرِّخ، فقد أسهم إسهامًا واسعًا في عديد ميادين المعرفة والعلم والأدب".

صورة للكاتب عبد الملك مرتاض

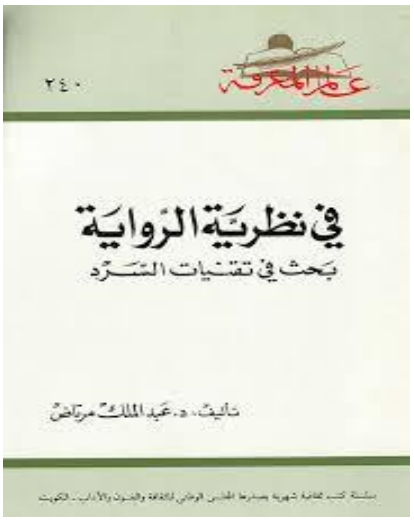

صور لأهم مؤلفات عبد الملك مرتاض

المصادروالمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر

1- عبد الملك مرتاض: الأدب الجزائري القديم: دراسة في الجذور، دار هومة، الجزائر، 2000 م

ثانيا: المراجع

1_ رحيم يونس كرو العزاوي: مقدمة على منهج البحث العلمي.

2_ سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار النشر، مصر، 1983م.

3_ صلاح فضل، أساليب السرد في الرواية العربية، دار المدى للثقافة والنشر، سوريا، 2003.

4_ صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998.

5_ صلاح فضل، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط 01، 1978.

6_ صلاح فضل، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2003.

7_ عبد الحميد بورايو، السرديات الشعبية، مقاربات منهجية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 01، 2004.

8_ عبد الله الغذامي، في النقد الأدبي، مركز الأدب العربي، ط 01.

9_ علي بوخاتم : الدرس السيميائي المغاربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر ، 2005.

10_ عبد الله أبو هيث ،مناهج البحث في الأدب والنقد، دار الفكر،دمشق، سوريا،1998.

11_ محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1985.

12_ محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، دار النهضة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.14

13_ محمد مندور، في الميزان الجديد، دار النهضة، مصر الفجالة، القاهرة.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
شكر وعرفان	
الإهداء	
مقدمة	أ-ج
مدخل	
أولا: المناهج النقدية السياقية:	7-4
أ- المنهج الاجتماعي:	8
ب- المنهج النفسي:	9
ج-المنهج التاريخي:	10
ثانيا: المناهج النقدية النسقية:	11
أ- المنهج البنيوي:	14-12
ب- المنهج الأسلوبي:	15-16
ج- المنهج السيميائي:	17-18
الفصل الأول: المنهج التاريخي	
أولا: مفهوم المنهج التاريخي	20
ثانيا: تجليات المنهج التاريخي في كتاب "الأدب الجزائري القديم" لـ "عبد الملك مرتاض":	21-22
1- عوامل نشأة الأدب الجزائري	23-26
2-مرحلة الأدب الجزائري	27
3-تفسير الظواهر الفنية	28-29
الفصل الثاني: المنهج الفني	
أولا: مفهوم المنهج الفني:	31
ثانيا: تجليات المنهج الفني:	32
1-المستوى التضميني	32

2-المستوى التشكيلي.	33
3-تحليل قصيدة "مجهولة القائل"	36-34
4-تحليل قصيدة "ذكر الموت " لبكر بن حماد	40-37
الفصل الثالث: تعريف المنهج التكاملي	
أولا: تعريف المنهج التكاملي	42
تجليات المنهج التكاملي:	44-43
الخاتمة	46-45
ملحق	54-48
قائمة المصادر والمراجع	57-56
فهرس الموضوعات	60-59

الملخص:

تُعالج هذه المذكرة بالدراسة والتحليل تجليات المناهج النقدية في كتاب «الأدب الجزائري القديم – دراسة في الجذور» للدكتور عبد المالك مرتاض، مركزة على ثلاثة مناهج مركزية :المنهج التاريخي، المنهج الفني، والمنهج التكاملي .في الفصل الأول، تناول الباحث المنهج التاريخي بوصفه مدخلًا للكشف عن جذور الأدب الجزائري وتطوره عبر العصور، مركّزًا على السياقات التاريخية والاجتماعية التي أحاطت بالنصوص، ومبرزًا سعي مرتاض لفهم الظواهر الأدبية في إطارها الزمني .أما الفصل الثاني، فقد خُصص للمنهج الفني، حيث ركّز على الجوانب الجمالية للنصوص من خلال مستويات أربعة :شعرية اللغة، التخاطب التشكيلي، التخاطب الحيزي وقد تم تطبيق هذا المنهج تحليليًا على قصيدة" ذكر الموت " لبكر بن حماد، ما كشف عن حسّ نقدي فني عميق لدى مرتاض .وفي الفصل الثالث، تم تناول المنهج التكاملي الذي يجمع بين السياق والشكل، مؤكّدًا على شمولية مرتاض في مقاربته للنص الأدبي، حيث لا يفصل بين التاريخ والفن والمعنى .تخلص المذكرة إلى أن مرتاض استطاع توظيف هذه المناهج برؤية نقدية متكاملة، عاكسة عمقًا أكاديميًا ووعيًا بخصوصية الأدب الجزائري القديم، مما يجعل كتابه مرجعًا نقديًا هامًا في الدراسات الأدبية التراثية.

الكلمات المفتاحية: المناهج النقدية، الأدب الجزائري، تحليل النصوص الأدبية.

Abstract:

This dissertation analyzes and studies the manifestations of critical approaches in the book “Ancient Algerian Literature – A Study in the Roots” by Dr. Abdelmalek Mortad, focusing on three main approaches: the historical approach, the artistic (aesthetic) approach, and the integrative approach. In the first chapter, the researcher examines the historical method as an entry point to uncover the roots of Algerian literature and its development through the ages, highlighting the historical and social contexts surrounding the texts and showing Mortad's effort to understand literary phenomena within their temporal framework. The second chapter is dedicated to the artistic approach, focusing on the aesthetic aspects of the texts through four levels: the poetics of language, formal dialogism, spatial dialogism, and rhythmic dialogism. This method is applied analytically to the poem "Dhikr al-Mawt" (Remembrance of Death) by Bakkar bin Hammad, revealing Mortad's deep critical and artistic sense. The third chapter addresses the integrative approach, which combines context and form, confirming Mortad’s comprehensive vision in approaching the literary text, without separating history, art, and meaning. The dissertation concludes that Mortad succeeded in employing these methodologies with an integrated critical perspective, reflecting academic depth and awareness of the uniqueness of ancient Algerian literature, making his book a key reference in traditional literary studies.

Keywords: Critical approaches, Algerian literature, literary text analysis.